الباب الثاني:
تكويـــن الدعـــاة

هل الدعاة إلى الله أناس عاديون.. وهل كل إنسان يصلح أن يكون داعية؟

سؤال يطفو على السطح.. والإجابة عنه هي المفتاح في منظومة تكوين الدعاة.. خاصة ونحن في القرن الواحد والعشرين، نعيش عصر العولمة.. عصر القرية الواحدة والسماوات المفتوحة والقنوات الفضائية لكل من هب ودب ينصب نفسه داعية إسلامية..

وقد سبق أن أكدنا أن الدعوة الإسلامية رسالة وليست وظيفة يلحق بها الخريج بعد أن ينال شهادته..

إن الدعوة إلى الله هي رسالة كل رسول إلى قومه حتى ختمت بسيد المرسلين محمد ﷺ، ورثها منه كل مسلم على وجه العموم.. والعلماء هم المكلفون بأدائها على وجه الخصوص..

فهي مسئولية جسيمة وخطيرة ينبغي أن تؤدى على أكمل وجه، ولذلك يجب الإعداد الجيد للقائمين لها الحاملين لرايتها، لما ورد عن النبي ﷺ أنه قال: «اثنان إذا صلحا صلحت الأمة.. وإذا فسدا فسدت الأمة ألا وهما العلماء والأمراء».

وليس بجديد أن نؤكد هنا أن الله سبحانه وتعالى قد انتقى واختار أنبياءه ورسله ليبلغوا رسالاته: ﴿ ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾ ﴾ [الحج: ٧٥].

وقال: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ [آل عمران: ٣٣].

وقال: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ﴾ [البقرة: ٢٤٧].

وقال مخاطباً موسى عليه السلام: ﴿ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى ﴾ [الأعراف: ١٤٤].

وقال سبحانه عن سيدنا إبراهيم أبو الأنبياء: ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ ﴾ [البقرة: ١٣٠].

وقال تعالى في حق سيدنا إبراهيم وأبناؤه من الأنبياء: ﴿ إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾ ﴾ [ص: ٤٦ - ٤٧].

وقال سبحانه وتعالى في حق جميع حاملي الرسالة : ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ ۖ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ ۖ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ ﴾ [فاطر: ٣٢].

فإذا علمنا أن عملية الدعوة ليست عملية اتصال بسيطة بل هي عملية معقدة مركبة، ففي تصورنا أن الداعية شخصية متميزة من أصحاب المواهب والاستعداد، بالإضافة إلى إعداده وتكوينه وتربيته وفق برنامج متكامل، كما يجب مواصلة صقله وإكسابه الخبرة واستزادته من العلم أكاديمياً عن طريق التدريب وذاتياً بمعرفة الداعي نفسه.

إذاً فنقطة البداية الذي يجب أن نبدأ بها هي :

حسن اختيار الدعاة من أصحاب الاستعداد والكشف عن مواهبهم واستعداداتهم:

وفي ذلك لا يكفي أسلوب (المقابلة الاختبارية) بل يجب تطبيق (أسلوب الاختبارات المقننة) المعدة للكشف عن الشخصية المتوفرة.

فإذا كانت غير متوافرة فلتكلف جامعة الأزهر كليات التربية بها أو بغيرها لإعداد هذه الاختبارات المقننة للكشف عن أهم السمات والصفات التي نطلبها في شخصية الدعاة التي تؤهلهم لحمل هذه الرسالة ذات العبء الكبير.. والمسئولية الخطيرة فإذا لم تفعل ذلك أو يكون ذلك ضمن أهدافها فما ميزتها عن غيرها في الجامعات الأخرى؟

ولا ننسى أننا لكي نقرر التحاق طالب بكلية الشرطة أو أحد الكليات العسكرية تظل الاختبارات منعقدة لذلك زهاء الشهر الكامل أو ما يزيد منها هو اختبارات ثقافية مؤسسة ومؤهلة للالتحاق بهذه الكليات، ومنها ما هو كشف طبي للتأكد من سلامة بدنه وحواسه، ومنها ما هو مهاري تدريبي للتأكد من استعداداته، ومنها ما يتعلق بنطقه وسلامته وخلوه من العيوب كاللجلجة والتأتأة وغيرها، واختبارات الشخصية التي تنتهي بالمقابلة الشخصية Interview..

فهلا اقتفينا الأثر في تلك الاختبارات ومحاكاته في اختيار الدعاة ومسئوليتهم أشد وأخطر وعدم الاكتفاء بالمقابلات الشكلية التي تجري الآن ولا تستغرق للفرد الواحد ربما أكثر من خمس دقائق ولا يكشف فيها ربما إلا التأكد من حفظه للقرآن الكريم وربما قدرته على الخطابة المنبرية.. ثم الاكتفاء بالتدريب الشكلي الذي يخوضه الداعي للترقي في سلك الدعاة..

وكي نكون على بصيرة على أهم السمات والصفات المطلوبة في الدعاة نخصص الفصل التالي لذلك حتى لا نظلم أنفسنا بادعائنا ما لا نقدر عليه أو ما لا نملك المقومات الأساسية له.. وفي نفس الوقت حتى لا نظلم الدعوة ذاتها بالانتماء إليها دون توافر الأهلية لهذا الانتماء، أو ما نجلبه لها من مثالب وأوجه نقد لها كانت نضجاً طبيعياً لقصورنا عنها أو تقصيرنا فيها.. ثم نعيب زماننا..

وكما قال الشاعر :

نعيب زماننا والعيب فينا ::: وما لزماننا عيب سوانا

فإن من كان في هذا المقام : مقام الدعاة المبلغين والمبلغين والهداة الدالين على معرفة الله سبحانه وتعالى وعلى صفاته والإيمان برسله وكتبه وملائكته وملكوته واليوم الآخر وأيضاً التعرف على خاتم أنبيائه ورسله إمام الدعاة سيدنا محمد ﷺ وسيرته ونبوته ومعجزاته، وأهم معجزة جاء بها وهي القرآن الكريم.. ورسالته التي بعث بها وهي الإسلام والتعرف على أركانه.. ومقاصده ونظمه الشاملة لكل مقومات الحياة.

الداعي إلى ذلك لابد أن يتحقق من مقوماته.. وعلى الناس أن يتحققوا من هويته.. وإلا كان الخطر عظيماً.. والعائد جسيماً.

* * * * *

الفصل الأول :
السمات المشتركة بين الدعاة
والصفات التي يجب توافرها فيهم

وهنا يجب أن نتوقف ملياً لنتعرف على :

من هو الداعية ؟

حتى نتبين موقعه من مسميات شتى راحت في حياتنا.. وكثر الحديث عنها في واقعنا والتي من أبرزها :

- **المرشد** : مشتقة من مادة رشد التي وردت في القرآن في تسع عشرة آية: ﴿ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّ ﴾ [البقرة: ٢٥٦].
- **الـــواعظ** : مشتقة من الوعظ؛ قال تعالى: ﴿ هَٰذَا بَيَانٞ لِّلنَّاسِ وَهُدٗى وَمَوۡعِظَةٞ لِّلۡمُتَّقِينَ ١٣٨ ﴾ [آل عمران: ١٣٨].
- **والخطيب**..
- **والمفتي**..
- **والمحتسب**.. الخ ما يقال من تلك المسميات..

ويميز البعض بين كل مسمى فيرى أن فرقاً بين مسمى والآخر من هذه المسميات.. بين المرشد.. والواعظ فبينما يرى الدكتور أحمد عبد العزيز أبو العمايم أن الوعظ الديني هو الأمر بالمعروف والناهي عن المنكر [1]، يعرف الأستاذ محمد عبد العزيز الخولي المرشد بسماته والتي خلاصتها أن :

المرشد : شخص كملت نفسه وتهذب خلقه ورشد عقله.. عامل بما علم.. واقف عندما رسمه لـه الشارع.. بصير بأحوال الناس خبير بأمورهم.. لا يعرف اليأس إليه

(١) الخطابة الإسلامية بين النظرية والتطبيق؛ د. أحمد عبد العزيز أبو العمايم، ص ٩.

سبيلاً.. سياسي.. حكيم تابه إلى آخر ما ذكر من ذلك[1].

وفي أسماء الله الحسنى اسم الرشيد أي الذي أرشد الخلق إلى مصالحهم أي هداهم ودلهم عليها والاسترشاد طلب الرشد.. ﴿يَٰقَوْمِ﴾ [غافر: ٣٨].

كما يتناول الشيخ علي محفوظ هذه المسميات بتحديد مفاهيمها ومن ذلك قوله: اعلم أن لهذا الفن ثلاثة أسماء؛ وعظ وتذكير وقصص، بقصد إحداث الوعي المستنير.

فالوعظ والموعظة والعظة : النصح والتذكير بالعواقب سواء أكان ذلك بالاستمالة والترغيب أم بالزجر والترهيب والتخويف بالله ويورد عليه الأخبار الواردة بالوعيد..

قال ابن سيده الوعظ : هو تذكيرك الإنسان بما يلين قلبه من ثواب وعقاب.. وفي الحديث : «لأجعلنك عظة أي موعظة وعبرة لغيرك»..

وقد وردت مادة (وعظ) واحد وعشرين مرة في القرآن الكريم.. ومن أشهرها موعظة لقمان لابنه وهو يعظه: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣].

قال وفي الاصطلاح : يطلق على القول الحق الذي يلين القلوب ويؤثر في النفوس ويكبح جماح النفوس المتمردة وهذا شأن العالم الواعظ.

والتذكير : تعريف الخلق بنعم الله عز وجل عليهم وحثهم على شكره وتحذيرهم من مخالفته وعصيانه والتذكير بالعواقب.

والقصص تتبع القصة الماضية بالحكاية عنها والشرح لها.

أما الإرشاد : فهو الهداية إلى الطريق المطلوب، كما في القاموس : الهداية والاستقامة على طريق الحق[2].

ويرى الأستاذ البهي الخولي في كتابه تذكرة الدعاة [3] أن الداعية غير الخطيب

(١) إصلاح الوعظ الديني للأستاذ محمد عبد العزيز الخولي.
(٢) انظر: هداية المرشدين.
(٣) تذكرة الدعاة؛ للبهي الخولي، ص ٦.

فيقول :

الخطيب خطيب وكفى والداعية مؤمن بفكره يدعو إليها بالكتاب والخطابة والحديث العادي والعمل الجدي في سيرته الخاصة والعامة وبكل ما يستطيع من وسائل الدعاية..

ويقول : فهو كاتب وخطيب ومحدث وقدوة ويؤثر في الناس بعمله وشخصه.

ويقول : والداعية أيضاً طبيب اجتماعي يعالج أمراض النفوس ويصلح أوضاع المجتمع الفاسدة، فهو ناقد بصير يقف حياته على الإصلاح إلى ما شاء الله.

وهو رفيق وصديق وأخ للغني والفقير والكبير والصغير.. ومن هذه الصفات تشيع المحبة في قلبه وتتدفق الرحمة من عينيه، وتجري المواساة على لسانه ويديه وهذا ضروري جداً للداعية.. وهو من مواهب الروح والجنان لا من صفات البلاغة وملكات اللسان..

والداعية قائد في محيطه وسياسي في بيئته وزعيم لفكرته ومن يتبعه في ناحيته وكل هذا لا تنهض الخطابة وحدها بحقوقه.. فالبد من التأثير النفساني والهيبة الروحية والاتصال بالله.. واستعانة العقل بما حصل من تجارب التاريخ وأحوال الناس.

ثم يقول : ولست بهذا أغض من قدر الخطابة والخطيب فيما يعرف بالخطاب الوعظي لخطيب الجمعة بقوله، وهي - أي الخطابة - صفة راسخة في نفس المتكلم يقدر بها على التصرف في فنون القول لمحاولة التأثير في نفس السامع ومخاطبة وجدانه إثارة إحساسه للأمر الذي يراد منها [1].

يقول الشيخ على محفوظ :

فبالخطابة تنهذب النفوس وتتنبه العقول من غفلتها وتستيقظ من رقدتها وتستنير البصائر بنور الطاعة بعد أن أظلمتها المعاصي [2].

أما المحتسب : فيعرفه الدكتور زيدان [3] بأنه من يقوم بالاحتساب أي الأمر

(١) انظر: الخطابة؛ للشيخ أبو زهرة.
(٢) انظر: هداية المرشدين؛ للشيخ علي محفوظ، ص ٧٣.
(٣) انظر: أصول الدعوة؛ للدكتور زيدان، ص ١٧٧، ١٧٨.

بالمعروف والنهي عن المنكر..

ثم يقول : ولكن شاع عند الفقهاء إطلاق هذا الاسم على من يعينه وليّ الأمر للقيام بالحسبة وأطلقوا عليه أيضاً اسم والي الحسبة. أما من يقوم بها من دون تعيين من وليّ الأمر فقد أطلقوا عليه (اسم المتطوع) ثم راحوا يفرّقون بين المحتسب والمتطوع فيما يلي :

أ- الاحتساب فرض متعين على المحتسب بحكم الولاية، أي بحكم تعيينه محتسباً، أما فرضه على غيره فهو من فروض الكفاية ومن ثم لا يجوز للمحتسب أن يتشاغل عما عين له من أمور الحسبة بخلاف المتطوع.

ب- وقالوا : أن المحتسب عين للاستعداء إليه وطلب العون منه عند الحاجة.. وثم تلزمه إجابة من طلب ذلك منه.. بخلاف المتطوع إذ لا يلزمه من ذلك شيء.

جـ- قالوا : أن المحتسب عليه أن يبحث عن المنكرات الظاهرة حتى يتمكن من إزالتها كما عليه أن يبحث عما ترك من المعروف الظاهر حتى يمكن أن يأمر بإقامته.. أما المتطوع فلا يلزمه ذلك.

د- وقالوا : للمحتسب أن يستعين على أداء مهمته بالأعوان فيتخذ له من الأعوان ما يحتاجه لأداء مهمته التي عين لها وليس للمتطوع ذلك.

هـ- قالوا : وللمحتسب أن يعزر على المنكرات الظاهرة ولا يتجاوزها إلى إقامة الحدود وليس للمحتسب ذلك.

و- للمحتسب أن يأخذ على عمله أجراً من بيت المال وليس للمتطوع ذلك.

ز- للمحتسب أن يجتهد في المسائل المبنية على العرف فيقر منها ما يراه صالحاً للأفراد، وينكر منها ما يراه مستحقاً للإنكار وليس للمتطوع ذلك.

ثم يقول رأيه في ذلك : من أن هذا التنظيم من الأمور الحسنة بشرط أن لا يكون ذلك مانعاً من قيام الآخرين بواجب الحسنة على الوجه المشروع..

وذلك في حد ذاته مهم.. فالدين في غاياته النهائية هو القيام بحسبة الأمر بالمعروف

والنهي عن المنكر، حيث لخصه الرسول ﷺ فيما روى عن تميم الداري بقوله : «الدين النصيحة..» قلنا لمن؟ قال: «لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم» (رواه مسلم).

أما المفتي : وهو من يقوم بالإفتاء.. وهو نائب في تبليغ الأحكام وقد قالوا : المفتي موقع عن الله تعالى..

والإفتاء إخبار عن حكم الله حين يسأله المستفتي عن حكم الشرع في مسألة ما..

وهذا يعني أنه جاهل بالحكم وإنما يسأل ليعرفه ويستقوي بذلك..

وليعمل بما يفتيه به المفتي مقلداً له بهذه الفتوى المشتقة ولفظها من الفتوة بقول الدكتور زيدان [1]، وهو في حقيقته تبليغ عن الله تعالى وإخبار عما شرعه لعباده من أحكام.

مما تقدم نستطيع أن نقول :

أن هذه المسميات جميعاً عندما تتوافر الصفات الخلقية والسلوكية للداعية إنما يمثل أجزاء من رسالته السامية وعمله المقدس.

أما لو انفصلت عنها تلك السمات الخلقية والوجدانية ومراعاة حق الله فإنها تكون أموراً جوفاء خالية من التأثير لأنها خالية من الغاية السامية والمقصد الشريف.

فكل أصحاب هذه المسميات :

المرشد - والواعظ الديني - والخطيب الديني - والمفتي - والمحتسب.

هم بالمقام الأول هم دعاة..

إذ الخطاب الإسلامي الدعوي متعدد ومتنوع بحسب جملة الخطاب.. وإن كان محوره وسيظل هو خطبة الجمعة يقوم على إعدادها وتنفيذها الخطباء.

والمفتي : يعمل على بيان حكم ما شرعه الله.. والمحتسب يعيش الواقع ويتعايش

(١) انظر: أصول الدعوة؛ للدكتور زيدان، ص ١٦٠.

المشكلات اليومية وتعقب الأخطاء والمنكرات، ومحاولة دراسة أسبابها وعلاجها يأتي على رأس ذلك، قائمة حسبة النهي عن المنكر وتصويبه وعملية التغيير له من الحسن إلى الأحسن، ومن المفضول إلى الفاضل بإبداله بالمعروف البديل عن طريق الإملاء بعد الإخلاء كما يقولون، فإذا كان الإخلاء دون الإملاء فسوف يملأ الفراغ بأشياء قد لا تكون لمصلحة الحق، ومن هنا كان رأي الفقهاء بأن مدافعة المنكر لا تشرع إلا إذا كان سوف يؤدي إلى منكر أشد منه وأخطر.. وهذه رسالة الدعاة.. ولا ننسى أن جهاز الدعوة هو سر خلود هذه الرسالة الخالدة.

ويؤكد ذلك د/ محمد السيد الجليد فيقول :

الخطاب الديني يدور على ألسنة الدعاة والمتحدثين والخطباء وكتاباتهم حول قضايا أربعة وهي : العقائد، والعبادات، والمعاملات، والأخلاق.. وأن العقائد والعبادات والأخلاق تمثل ثوابت الدين وأسسه [1].

ومعنى ذلك أن الخطاب الديني متنوع ألوانه ما بين التعليم والوعظ والإرشاد والتوجيه من الدرس الديني، والمحاضرة واللقاء والدعوة والمناظرة والمجادلة والخطبة والمقابلة والكتاب والبرنامج الإذاعي أو التليفزيوني.. وغير ذلك حسب المناسبة وظروفها.. حتى أنه يصل إلى استخدام الدراما في الفيلم السينمائي الديني.

فإن من يقوم بأحد هذه الوسائل الدعوية هو أحد الدعاة إلى دين الله الحق دين الإسلام.. وإذا كان كل واحد من هؤلاء هو من الدعاة وأكثر من ذلك، فهو الكاتب والمحرر والإعلامي والمفكر الإسلامي.. وكل امرئ هو مكلف بتبليغ رسالة الله رسالة الإسلام.. ولو بآية من كتاب الله ولكن على علم وفهم سليم ووعي وبصيرة.

فإن كل شريحة هي بمثابة جزء من العملية الدعوية والوعظ والإرشاد والتوجيه.. والخطابة.. والإفتاء.. والاحتساب بالإبلاغ.

وإذا كان لكل جزئية من تلك صفات يجب أن تتوافر فيمن يقوم بها.. فإن مجموع هذه السمات والصفات يجب أن تتوافر في الداعية الكل الموسوعة الذي هو كل ذلك.

---

(١) مجلة منار الإسلام؛ عدد رمضان ١٤٢٤هـ، ص ١٠٦.

يحدثنا الشيخ سيد سابق عن (الدعاة) وسماتهم في كتابه دعوة الإسلام في صورة إجمالية.. فيقول :

إن حملة النور لهم سمات خاصة وصفات يتميزون بها عن غيرهم من الناس، ذلك بأنهم الهداة إلى الله.. والدعاة إلى كلمته.. والقوامون على دينه.. والذين يزودون عن حرماته.. والواقفون على مفترق الطرق.. يرشدون الحيارى.. ويبصرونهم على أعلام الطريق.. هؤلاء الذين يبلغون رسالات الله.. والذين اصطفاهم الله لحمل أمانته ودعوة الخلق للحق.

وبداية : **ألا ترى معي أن ذلك التعريف للدعاة يتضمن أن يكون الداعي : مبلغاً.. مرشداً.. وواعظاً.. ومدرساً.. وخطيباً.. ومفتياً.. ومحتسباً.. ومؤلفاً ومفكراً ومحرراً.. وكل كاتب مقالة إسلامياً.. وكل حامل لقلم أو فكر إسلامي..**

وربما كان أقرب تعبير إلى تحديد الداعية ما ذكره الدكتور / أحمد غلوش في كتاب الدعوة؛ أصولها ووسائلها حيث يقول :

والدعاة اليوم هم المبشرون المنذرون الحاملون صوت النبوة المكلفون بالوصول إليها في كل مكان.. وفي الوجود..

فالدعاية له صفات موروثة من الأبوين.. وأخرى مكتسبة..

فمن هذه الصفات الموروثة : الموهبة.. والاستعداد الشخصي.

أما الصفات المكتسبة :

فتأتي من التنشئة والتعليم والتأهيل.. والصقل.. والتنمية والتدريب، أي باختصار من عوامل التكوين.

- **فالأولى** : صفات فطرية.. تعد هبة من الله سبحانه لمن شاء من عباده من الاستعداد الفطرى والسليقة الطبيعية، من طلاقة اللسان وفصاحة المنطق وثبات الجنان وصوت جهورى وأداء متوثب ولسان بين سليم من عيوب الكلام كالنأتأة والثأثأة، وتكون مخارج الحروف عنده صحيحة، بالإضافة إلى عقل راجح وذكاء فطرى،

والملاحظة الدقيقة وسلامة الاستنتاج مع يقظة حية وبديهة بنبرة وثيقة بالنفس، ورباطة الجأش وقدرة على التقييم والموازنة.

■ والثانية : يستطيع لمن حرم من أحدها أن يحصلها بجده وصبره بالدراسة والمران.

يقول الدكتور يوسف القرضاوي [1] : ولكي ينجح الداعي في رسالته لابد أن يتسلح بثلاث أسلحة على الأقل:

■ سلاح الإيمان

■ سلاح الأخلاق

■ سلاح العلم

ويقول الدكتور محمد بن أحمد الصالح [2] :

لابد للداعية من صفات يرتفع إلى أهلية حمل الرسالة التي حملها الرسل من قبل لابد لـه من :

١- إيمان عميق. ٢- علم دقيق. ٣- خلق وثيق.

والسلاحان : **الإيمان والأخلاق** : تعودا إلى ما منحه الله للداعية من صفات تعود إلى القدرة الروحية التي يحركها الإيمان ويزكيها الأخلاق ويرسم حركتها الإسلام ويوجهها الإحسان.. فلكي يكون الداعية ناجحاً في دعوته يجب أن تتوفر فيه صفات التمييز الإيماني والتفوق الروحاني..

ويمكن أن نشير إلى ملامح هذه القدرة الروحية على النحو التالي :

■ يقظة الروح وسرعة استجابتها لما حق لها.

■ صحوة الوجدان والمشاعر وغيرتها على الحق.

■ الطموح إلى المثل العليا في كل شيء.. وعدم الرضا بما دونها.

---

(١) انظر: ثقافة الداعية؛ للدكتور يوسف القرضاوي، ص ٤، ٥.

(٢) انظر: مجلة البحوث الإسلامية؛ العدد ٣٦ الربع سنوي الثاني من العام ١٤١٣هـ، ص ١٦٥.

- قوة الإيمان وسلامة المعتقد من الخرافة.. والجمود.. والنزهات.. والأباطيل.
- الإيمان العميق بأن الدين الإسلامي الخاتم هو أعظم الأديان والاعتزاز بانتماء واليقين بأن الله مؤيد من يدعو إليه بإخلاص متجرد واحتساب: ﴿ لَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ [الحج: ٤٠].
- قوة الإرادة.
- الحس المرهف وحسن المظهر النابع من حسن المخبر.
- الإقبال على العبادة والشوق إلى كل ما يرضى الله سبحانه وتعالى.
- الشجاعة.. والكرم.. ورحابة الصدر والصبر والاحتمال.. والحلم والانتماء والصفح والتواضع والعطف والرحمة والشفقة.. والجرأة والحكمة.. والبذل والعطاء والاستمرار في ذلك.. والألفة والتودد إلى الناس.. قال الرسول ﷺ: «المؤمن يؤلف.. ولا خير ممن لا يألف ولا يؤلف» (مسند الإمام أحمد).
- هذا بالإضافة إلى مجموعة أخرى تعود إلى ما منحه الإنسان من قدرة بدنية واستقراء جسدي يمكن صاحبه من حسن أداء عمله وإتقانه.

- فمثلاً يفضل فيه: الخلو من الأمراض العائقة للإنسان عن القيام بالعمل.
- كما يفضل فيه: سلامة الحواس والجوارح.
- كما يفضل فيه: سلامة الكلام وخلوه من عيوب النطق.
- القدرة على مجاهدة النفس والشيطان والرغبات والشهوات.

ويمكن أن يرصد من الصفات التي تساعد الداعية في النجاح في مهمته من قدرات عقلية مثل:

- القدرة على استخدام الخبرات السابقة لمواجهة المواقف الجديدة بنجاح.
- القدرة على تكوين أنماط سلوكية جديدة في المواقف الجديدة.. وفي التصدي للبدع والخرافات.

- القدرة على إدراك العلاقات بين الأشياء وإدراك متعلقات هذه الأشياء.
- القدرة على الحكم على الناس والجمهور المدعوين والأشياء حكماً صائباً أو قريباً من الصواب.
- القدرة على النقد والموازنة والتعرف على الموازنة والتعرف على العناصر اللازمة للنقد.
- القدرة على التحليل والاستنباط والنقد.
- القدرة على الابتكار.

لعلّ هذه السمات المشتركة بين الدعاة التي نقترحها هي الواردة في كتاب الله وسنة رسول الله وأقوال العلماء.

فمن آيات الله التي جاء بها القرآن الكريم مشيراً إلى هذه الصفات قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [فصلت: ٣٣].

فالإيمان هو ما وقر في الصدر وصدقه العمل.

روي أن رجلاً جاء سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنه فقال : إني أريد أن آمر بالمعروف وأنه عن المنكر يا ابن عباس.. قال: أبلغت ذلك؟ قال: أرجو.. قال: إن لم تخش أن تفتضح بثلاث آيات من كتاب الله فافعل.. قال: ما هي؟

قال قوله تعالى : ﴿ ۞ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ ﴾ [البقرة: ٤٤]. أحكمت هذه ؟ قال: لا..

قال والثانية قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [الصف: ٢ - ٣]. أحكمت هذه؟ قال: لا.. فالحرف الثالث.

قال : قول العبد الصالح (شعيب) عليه السلام: ﴿ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ [هود: ٨٨]. أحكمت هذه؟ قال: لا..

قال : فابدأ بنفسك [1].

■ وفي ما يجب في الدعاة بتوفر الرصيد العلمي والزاد الثقافي : ﴿ قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [يوسف: ١٠٨].

■ وفي أهمية الأخلاق للداعية وأهمها الصبر لله وفي الله قال تعالى : ﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

■ وفي عمق إيمانه وثقته فيما يدعو إليه قال تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [السجدة: ٢٤].

■ ومن جوامع القول في سرد هذه الصفات ما نقل عن الإمام أحمد ابن حنبل في خطبته الشهيرة في كتابه (الرد على الزنادقة) قوله : الحمد لله الذي جعل في كل زمان وفترة من الرسل بقايا من أهل العلم يدعون من ضل إلى الهدى ويصبرون منهم على الأذى.. يحيون بكتاب الله تعالى الموتى ويبصرون بنور الله أهل العمى.. فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه.. وكم من ضالٍ تائهٍ قد هدوه.. فما أحسن أثرهم على الناس.. وما أقبح أثر الناس عليهم [2]..

ويقول ابن القيم :

" ولما كان التبليغ عند الله سبحانه وتعالى يعتمد العلم بما يبلغ والصدق فيه لم تصلح مرتبة التبليغ بالرواية والفتيا إلا لمن اتصف بالعلم والصدق فيكون عالماً بما يبلغ صادقاً فيه، ويكون مع ذلك حسن الطريقة.. مرضيّ السيرة عدلاً في أقواله وأفعاله.. تتشابه السر والعلانية في مدخله ومخرجه وأحواله.. "

ومن تلك الصفات : **إيمان الداعية بما يدعو إليه وثبات هذا الإيمان الذي يجعل الغيب كالمشاهد أو أظهر والمعنوي كالمحسوس بل هو اصح وأصدق.**

ومن ذلك : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن

(١) قاله ابن مردويه في تفسيره، كما يقول ابن كثير ٨٦/١.
(٢) انظر: إعلام الموقعين؛ للإمام ابن القيم (المقدمة)، جـ ١.

لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾ [البقرة: ٢٦٠]، وهو ما يعرف بنضج الإيمان.

ولا شك أن مثل هذا الإيمان لابد أن يقرر صفات أخرى عديدة ولكنها وثيقة الصلة برسالة الداعية، ومنها الثقة المطلقة فيمن يدعو إليه والصدق الكامل فيما يدعو له والصبر والرضا على ما يلقاه في سبيل ما يدعو إليه..

حيث يصوب القرآن الكريم مقدار الثقة المطلقة عند موسى عليه السلام فيقول: ﴿ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ ﴾ [الشعراء: ٦١ - ٦٢].

ولم يكن يعرف موسى كيف يكون ذلك.. ولا يملك من أسباب ذلك شيئاً.. ولكنه واثق.. وكفى.

وتحكي لنا السيرة النبوية أنه عندما كان رسول الله مهاجراً مطارداً من المشركين وأغروا به سراقة حتى إذا بصر به سائراً في طريقه هو وأبو بكر رضي الله عنه وعرف رسول الله مقصده، وهو تسليمه للكفار والمشركين ويحصل على الجائزة حينئذ قدم رسول الله ﷺ إليه جائزة أكبر، بينما هو لا يملك من حطام الدنيا شيء.. قائلاً: أترضى أن يكون لك سوار كسرى ؟

قالها وهو لا يملك من الأسباب شيئاً.. لكنه الوثوق برسالته وصدقها ونصرة الله له.

وهذا الصدق في القول إن صحبه صدق في العاطفة والعمل والسلوك وصدق النية وحسن الإخلاص وتمام المراقبة.. تولد ن ذلك حرارة القول والحديث وكان سبيل الوصول إلى أذن المتلقي فيكون الحديث من القلب إلى القلب.

وخلاصة القول :

أنه لا يبلغ الدعاة إلى الله تعالى مرادهم من دعواهم إلا بمقدار ما يحرزون من رصيد الإخلاص.. وعدة الصدق فيه..

ومن الصفات اللازمة للبلاغ.. صفة العلم.. وهذا هو موضوع الفصل التالي.

* * * * *

الفصل الثاني:
ثقافة الداعية.. والمعرفة الدعوية

وهذا العنصر أساسي لابد منه حتى يجد الناس عند الداعية إجابة لتساؤلاتهم وحلولاً لمشكلاتهم..

إضافة إلى ذلك فالعلم هو ألزم ما في عدة الداعية التي يعلم بها أحكام الشرع ومقاصدهم ويرشدهم ويبصرهم بحقائق الواقع.. فالعلم هو السراج، والمصباح المنير للعقل.

وبهذا الزاد العلمي يكون الداعية قادراً على الإقناع وتفنيد الشبهات ومتقناً في العرض ومبدعاً في التوعية والتوجيه، ومن خلاله يعرف الحق من الباطل، والحلال من الحرام، ويفهم مقاصد الشريعة ومحاسنها ويحسن عرضها ونشرها.

وإذا كانت الدعوة إلى الله أشرف مقامات العبد وأجلّها وأفضلها فهي لا تحصل إلا بالعلم الذي يدعو به وإليه.. ولابد من كمال الدعوة من البلوغ في العلم إلى حد يصل إليه السعي [1] والخوض في غمار الدعوة وميادينها فيما علم للداعي به ترتب عليه آثار.. إذ العلم لا يأتي إلا بعد العلم كما في قوله تعالى: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ ﴾ [محمد: ١٩]. فبدأ بالعلم وثنى بالعمل.

لأن العامل على غير علم كالسالك على غير طريق.. والعامل على غير علم ما يفسد أكثر مما يصلح كما قال عمر بن عبد العزيز خامس الخلفاء الراشدين [2]، وكمال قال الحسن البصري "فاطلبوا العلم طلباً لا يضر العبادة، واطلبوا العبادة طلباً لا يضر بالعلم"..

وكما في حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه : " العلم : إمام العمل. والعمل تابعه ".

وكما جاء في كتاب أدب الدنيا والدين : " العلم والد والعمل مولود.. والعلم يهتف

---

(١) مفتاح دار السعادة؛ لابن القيم ١(/١٥٤).

(٢) نفس المرجع السابق؛ (١٣٠/١)، وانظر جامع بيان العلم لابن عبد البر (٣٣/١).

بالعمل فإن أجابه وارتحل.. ومن تمام العلم استماله.. ومن تمام العمل استقلاله.. فمن استعمل علمه لا يخل من رشاد.. ومن استقل عمله لم يقصر عن مراد ".

فالعلم عصمة والجهل فتنة.. وأن درة الفتن لا تتم إلا بالعودة الرشيدة إلى نصوص القرآن الكريم والأحاديث النبوية ثم مناهج السلف.. واختيار أقرب أقوال علماء الأمة إلى دلالة نصوص الشرع وطبيعة الواقع وكل ذلك يكبر بدراسة العلم..

فبالقوة العلمية يبصر منازل الطريق ومواضع السلوك فيقصدها سائراً فيها يحتسب أسباب الهلاك ومواطن العطب وطرق المهالك المنحرفة عن الطريق الموصلة.. فقوته العلمية كنز عظيم بيده يمشي به في ليلة عظيمة مظلمة شديدة الظلمة [1]..

ولعلّ من أكبر فتن العاملين للإسلام في جعل الدعوة في هذه الأيام مسارعة البعض منهم في مناقشة ربما هي تقصم ظهور الرجال قبل بلوغ العلم الكافي ولا المعرفة الكافية.. والخطير أن هؤلاء في مجال العقيدة.

عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «تعلموا العلم فإن تعلمه لله خشية، وطلبه عبادة، ومذاكرته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة، وبذله لأهله قربة، لأنه معالم الحلال والحرام ومنار سبل أهل الجنة وهو الأنيس في الوحشة، والصاحب في الغربة، والمحدث في الخلوة، والدليل على السراء والضراء، والسلاح على الأعداء، والزين عند الإخلاء، يرفع الله به أقواماً فيجعلهم في الخير قادة قائمة تقتفي آثارهم ويقتدي بفعالهم، وينتهي إلى رأيهم...» إلخ الحديث.

ولهذا كان تقديم العلم واجباً، فهو الذي يهدي إلى صالح العمل، كما أنه يهدي إلى الإيمان أيضاً، بل هو دليل الإيمان، كما أرشد إلى ذلك القرآن حين يأتي (بالفاء) الدالة على الترتيب والتعقيب في الآية ٥٤ من سورة الحج.. ﴿ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ﴾ [الحج: ٥٤].

ولأن العلم يسبق الإيمان والعمل كان أول ما نزل من القرآن: ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥ ﴾

(١) انظر: أصول الدعوة للدكتور زيدان، ص ١٣٥.

[العلق: ١ - ٥].

ومن أبرز تعاليم الإسلام الحث على طلب العلم، فهو فريضة إسلامية على كل مسلم ومسلمة، كما في الأحاديث الشريفة..: «اطلبوا العلم ولو في الصين» (ضعيف)، «اطلبوا العلم من المهد إلى اللحد»، «وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع» [١].

وفي سبيل العلم كانت رحلة موسى عليه السلام إلى الخضر عند مجمع البحرين..

ولله در الشاعر القائل :

تعلم فليس المرء يولد عالماً ::: وليس أخو علم كمن هو جاهل

بل إنه سلاح النصر، فمن يملك العلم يملك القوة كما يقول الشاعر حافظ إبراهيم:

فتعلموا فالعلم مفتاح العلا ::: لم يبق باباً للسعادة مغلقاً

ثم استمدوا منه كل قواكم ::: إن القوي بكل أرض يتقى

والناس بذلك أحد رجلين : " إما متعلم يطلب الرشد، وإما عالم يطلب المزيد"[٢]..

وفي الأثر : العالم والمتعلم شريكان في الخير، ولا خير في الناس..

وينسب لعليّ بن أبي طالب هذه الأبيات:

ما الفضل إلا لأهل العلم أنهموا ::: على الهدى لمن استهدى أدلاء

وقدر كل امرئ ما كان يحسنه ::: والجاهلون لأهل العلم أعداء

ففز بعلم تعش حيا به أبداً ::: الناس موتى وأهل العلم أحياء

قال أبو الأسود : ليس شيء أعز من العلم.. الملوك حكام على الناس والعلماء حكام على الملوك.

وقد أثر عن الإمام عليّ رضي الله عنه وكرم الله وجهه قوله : " العلم خير من المال.. العلم يحرسك وأنت تحرس المال.. والعلم حاكم والمال محكوم عليه.. والمال تنقصه النفقة والعلم يزيد بالإنفاق "..

---

(١) صحيح الجامع الصغير (٦٢٩٧).

(٢) رواه ابن ماجه.

وفي الحديث : «من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهّل الله لـه طريقاً إلى الجنـة» [1].

وإذا كان العلم حياة النفوس وسلم الرقي وطريق المجد، فلابد أن تكتنفه الأخلاق، فمثلاً النهي عنا لمنكر وهو أحد شقي الدعوة يقول العلماء : العلم قبل الإنكار والحلم عند الإنكار والصبر بعد الإنكار.

إنما الأمم الأخـلاق مـا بقيـت ::: فإن هموا ذهبت أخلاقهم ذهبـوا

وفي ذلك يقول الدكتور محمود عمارة [2] :

إن العلم لا يكفي لتكوين داعية والمعرفة وحدها لا تصنع داعية، كذلك لقد قال رسول الله ﷺ : «أخوف ما أخاف على أمتي كل منافق عليم اللسان».

إن العلم إذا لم يستند إلى خلق يحميه من نزوات النفس وطغيا الشهوات ويصونه عن الدنايا وسفاسف الأمور يصلح كارثة حين يوجه لغايات آثمة أو يستغل في مآرب خبيثة.

ومن هنا يجب تنمية الإحساس بأن الداعية صاحب رسالة هي امتداد لرسالات النبوة ومسئوليتها لذلك مسئولية ضخمة شرط أولي يجب أن نحرص على التمكين في فلسفة إعداد الدعاة.

ويقول الشاعر في ذلك :

لا تحسبن العلـم ينفـع وحـده ::: مـا لم يتـوج ربـه بخـلاق

والعلم إن لم تكتنفه شمائـل تعليـه ::: كـان مطيـة الإخفـاق

إن الالتزام الديني بالإسلام فكراً وسلوكاً في كل صغيرة وكبيرة مما يجب تمكينه متأصلاً في أنفس الدعاة.

---

(١) رواه مسلم وأبو داوود..

(٢) انظر: نحو أسلوب أمثل للدعوة الإسلامية؛ د. محمود عمارة، ص ٦١، ٦٢.

يقول الدكتور محمد حسين الذهبي:

" ومن الخطورة أن نقدم للناس دعاة يقولون ما لا يفعلون أو يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم أو ينهون عن المنكر ولا يتناهون عنه [1] ".

العلم المفروض طلبه :

منه ما هو فرض عين..

ومنه ما هو فرض كفاية..

يقول الدكتور / يوسف القرضاوي [2] في ذلك :

" والذي أراه هنا أن بعض أقوال العلماء خلطت بين العلم المفروض طلبه على كل مسلم ومسلمة.. وهو ما يسمى (فرض العين) وبين العلم المفروض (فرض كفاية)..

فعلم التفسير والحديث وأصول الفقه وعلوم العربية بل وعلم الطب الذي هو علم الأبدان مقدم على علم الأديان..

هذه العلوم لابد منها على مستوى الأمة لا على مستوى الأفراد فهي من فروض الكفاية وفروض الكفاية هي : ما لا تستغني عنها الأمة في مجموعها ولابد أن يقوم عدد كاف من أبناء الأمة يسد الثغرة ويلبي الحاجة وإلا أثمت الأمة كلها..

إن فاقد الشيء لا يعطيه ومن ثم فالداعية الجاهل أو نصف المتعلم لا يستطيع أن يعلم غيره كما يقول الشاعر:

يا أيها الرجل المعلم غيره ::: هلا لنفسك كان ذا التعليم
تصف الدواء لذي السقام وذي الضنا ::: كيما يصح به وأنت سقيم

العلوم المطلوبة بالنسبة للداعية :

العلم المطلوب بالنسبة للداعية يتعدد :

---

(١) انظر: مشكلات الدعوة؛ د. محمد حسين الذهبي؛ ص ٢٧، ٢٨.

(٢) انظر: تيسير الفقه للمسلم المعاصر في ضوء القرآن والسنة؛ للدكتور يوسف القرضاوي ص ١٨٨، ١٨٩.

فهو أن العلم بالدعوة العلم بأصول هذا الدين وفروضه وأحكامه..

والعلم بمصادر هذا الدين من قرآن وسنة وكيفية تفهمها.

وما يتفرع عن هذا المصادر ويستخدمنها : الإجماع والقياس والمصلحة.. الخ.

وهو ما يعرف باسم علم أصول الفقه.. وهذا اللون من العلم لازم ولا يكتف يدعو إلى ما لا يعلم؟

والعلم ثانياً بأحوال المدعوين : العلم بعقلياتهم وعقائدهم وظروفهم وبيئاتهم، فذلك يمكنه من حسن الاختيار لما يناسبهم وما يعالج أدواءهم..

وكان كل نبيّ يعرف ظروف قومه فيدعوهم بعد التوحيد إلى ترك ما يغضب الله.. ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الزمر: ٩]. فذلك أجدى أن يجمع بين فقه الواقع ملامساً للظروف العامة والخاصة للناس محيطاً بمشكلاتهم.. مسترشداً بما فعله الأنبياء.

فهذا هو نبي الله هود يقول لقومه : ﴿ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٣١﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِىٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنْعَٰمٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣٥﴾ ﴾ [الشعراء: ١٢٨ - ١٣٥].

وهذا صالح يقول لقومه: ﴿ أَتُتْرَكُونَ فِى مَا هَٰهُنَآ ءَامِنِينَ ﴿١٤٦﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾ وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَٰرِهِينَ ﴿١٤٩﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٥٠﴾ ﴾ [الشعراء: ١٤٦ - ١٥٠].

وهذا لوط يقول لقومه : ﴿ أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم ۖ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾ ﴾ [الشعراء: ١٦٥ - ١٦٦].

وشعيب يقول لقومه : ﴿ ۞ أَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾ ﴾ [الشعراء: ١٨١ - ١٨٣].

وهكذا يلزم معرفة ظروف المدعوين وأدواتهم تماماً.. فالداعي طبيب الناس،

والطبيب لابد أن يفحص أولاً ليحدد الداء قبل أن يصف الداء..

إلى جانب الوعي بثقافة الجمهور المخاطبين وطبقاتهم وبيئاتهم ومراكزهم الاجتماعية كما في قوه ﷺ : «نحن معاشر الأنبياء أمرنا أن ننزل الناس منازلهم ونكلمهم على قدر عقولهم».

ومن العلم المطلوب عدة للداعية : العلم بالتيارات الفكرية المختلفة..

ففي عصرنا، عصر العولمة، صارت التيارات الفكرية العالمية تتحكم في العالم وتتقاسم فيه النفوذ وصار لها من التأثير والأهمية ما يجعل الإلمام بها مهماً لكل داعية لدفع أثرها من النفوس، فالكفر يسبق الإيمان.. والتخلية تسبق التحلية.. وهدم الأنقاض يسبق البناء.. قال تعالى :

﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

ثم هو يجب أن يتعرف بطرق الدعوة ووسائلها وغايتها.. أي العلم بفن الدعوة الذي له أدواته وتقنياته..

فالدعوة إلى الله فن لا يستطيعه إلا من أتاه الله أسبابه وسعى إليها سعياً حثيثاً، فالأمر إذا كان يقتضي الموهبة والاستعداد أولاً، فيلزمه التدريب أو الممارسة ثانياً والدعوة إلى.. ليست هي الخطابة فقط ولا القدرة على الحديث بألوانه المختلفة فحسب، إنما هي قبل ذلك كله إخلاص والتزام وقدوة ومواقف يقفها الداعية لله انتصاراً للحق وانتصاراً من البغي.

يقول الدكتور يوسف القرضاوي في ذلك : [1]

وقد تبين لي أن الداعية في حاجة إلى مجموعة من الثقافات هي :

١- الثقافة الإسلامية. ٢- الثقافة التاريخية ٣- الثقافية الأدبية واللغوية

٤- الثقافة الإنسانية ٥- الثقافية العلمية ٦- الثقافية الواقعية

(١) ثقافة الداعية؛ د. القرضاوي، ص ٥.

ثم يقول : والمطلوب من الداعية الناجح أن يتمثل فهذه الثقافات ويهضمها ويكون منها مزيجاً جديداً طيباً نافعاً أشبه شيء بالنحلة التي تأكل من كل الثمرات سالكة سبل ربها، ذلك لتخرج منها بعد ذلك شراباً مختلفاً ألوانه فيه شفاء للناس كما أن فيه آية لقوم يتفكرون.

* * * * *

[١] الثقافة الإسلامية

مصطلح الثقافة :

ولعلّ من المناسب هنا قبل الإحاطة بخصائص الثقافة الإسلامية وغايتها وأهدافها التعرف على المعنى الاصطلاحي لكلمة ثقافة التي تعني في معاجم العربية : سرعة الفهم والتأديب والتعليم والتدريب وتقويم المعوج [١]، حيث يتراوح المعنى الاصطلاحي لكلمة ثقافة في الأدبيات الإسلامية المعاصرة من معان ثلاث :

١- أنها جملة العلوم والمعارف والفنون التي يطلب الحذق بها [٢].

٢- الأثر الذي تطبع به المعارف الإسلامية حياة المسلمين في اعتقادهم وتقاليدهم وعاداتهم ومهاراتهم وطرق تفكيرهم ووسائل معيشتهم وسكنهم وتنظيم مؤسساتهم.. الخ[٣].

٣- المدخل الأكاديمي الذي يعرف طلاب الجامعات بمختلف تخصصاتهم بالأصول العلمية والفكرية والتشريعية للإسلام مع دراسة التيارات الفكرية المعاصرة كالتيارات المعاصرة كالوجودية والعلمانية والشيوعية والمادية بغرض بيان أخطارها على المسلمين وطرق التحصين منها والوقاية من أخطارها [٤].

ولا شك أن المعنى الأول للثقافة هو الأساسي للمعنى الثاني الذي هو سلوك المسلمين وطرق تدبيرهم في الحياة وأن المعنى الثالث يلزمه المعنيين الأول والثاني في صورة تخصصية مجزأة للطلاب [٥].

---

(١) راجع: لسان العرب؛ لابن منظور، والمعجم الوسيط؛ مادة ثقف، وراجع: نحو ثقافة إسلامية أصيلة؛ للدكتور عمر الأشقر ص ١٨، ١٩.

(٢) تعريف المجمع اللغوي، راجع دراسات في الثقافة الإسلامية؛ للدكتور محمد عبد السلام وآخرين ص ٨، ٩.

(٣) المرجع السابق؛ ص ١٧.

(٤) مدخل إلى علوم الثقافة الإسلامية للدكتور عبد الرحمن الزبيدي؛ العدد الثاني من مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، أغسطس ١٩٨٩، ص ٩٧.

(٥) مجلة الضياء، العدد ٤٨، ص ٦٩.

أما الدكتور عبد الحليم عويس فيحبذ تعريف أرنولد لكلمة ثقافة أي : محاولتنا الوصول إلى الكمال البشري الكامل عن طريق العلم بأحسن ما في الفكر الإنساني كما يؤدي إلى رقي البشرية..

ثم يقول : والدين من أهم العناصر التي استعان بها الإنسان في محاولته الوصول إلى الكمال [١]..

ثم يقول : وهذا لا يتعارض مع أي تعريف نوعي آخر.. بل هي تعريفات يكمل بعضها بعضاً..

بل ولا يتعارض مع ما يراه علماء الاجتماع من أن الثقافة يقصد بها الأنماط الدائمة لتغيير للسلوك الإنساني المكتسب [٢]، والفرق بين الثقافة واللم يتمثل في أن العلم عالمي بطبيعته، ولكن الثقافة خاصة لكل أمة بعينها.

وبذلك يمكن تحديد مصطلح الثقافة ا لإسلامية :

فالثقافة الإسلامية في حقيقتها هي الصورة الحية للأمة.. فهي ربانية المصدر، وثابتة، شاملة، متوازنة، إيجابية، مثالية، واقعية.. كل ذلك تحدد ملامح شخصيتها، وقوام وجودها، وهي التي تضبط سيرها في الحياة وتحدد اتجاهها فيه.. إنها عقيدتها التي تؤمن بها، ومبادئها التي تحرص عليها، ونظمها التي تعمل على التزامها، وتراثها الذي تخشى عليه من الضياع والاندثار، وفكرها الذي تريد له الذيوع والانتشار [٣].

إنها بإيجاز كما يقول فون هردر : هي دم الوجود؛ أي الدم الذي يجري في شرايين أفراده [٤]، فكأن العقيدة الإسلامية والشريعة الإسلامية والأخلاق الإسلامية، وما يحيط بها من فكر إسلامي، إنما هي الحياة للأمة الإسلامية.

---

(١) انظر: ثقافة المسلم في وجه التيارات المعاصرة؛ للدكتور عويس عبد الحكيم، ص ١٠، ١١.
(٢) انظر: إبراهيم خورشيد؛ مفهوم الثقافة، مجلة الفيصل السعودية، العدد ٢٠.
(٣) انظر عمر الخطيب: لمحات في الثقافة الإسلامية، ص ١٣، طبع بيروت.
(٤) الحضارة؛ ص ٣٦٩.

وليس استيعاب مجموع ذلك إلا ما يمكننا أن نسميه بقلب الثقافة الإسلامية وعقلها [1].

فالثقافة الإسلامية هي الشخصية الإسلامية التي تقوم على العقيدة والشريعة والأخلاق المستقاة من مصادر الإسلام الأصيلة : القرآن الكريم والسنة النبوية .

نطاق الثقافة الإسلامية وركائزها :

في ضوء المصطلح المراد فإن نطاق الثقافة ا لإسلامية يشمل :

- العقيدة الإسلامية التي تقوم على الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره وما يتصل بذلك من نظرة الإسلام للإنسان من حيث أصله ومصيره والحكمة في خلقه.. والكون من حيث الأصل والحكمة والنهاية والحياة في شطريها الدنيوي والأخروي [2].

- كما يشمل أيضاً النظام الأخلاقي في الإسلام الذي يبحث في مكارم الأخلاق التي تهدي إلى الفضيلة والخير والحب والفضيلة والتسامح والرحمة والمروءة والمواساة والعدالة والإنصاف والإيثار والوفاء.. الخ.

- تأتي بعد ذلك الأحكام العملية التي يمتد أثرها إلى الظاهر [3].. المتمثلة في العبادات التي تصل بين الإنسان وخالقه من حيث أنواعها وأحكامها وحكمتها وأسرارها.. والمعاملات التي تصل بين الإنسان وأخيه الإنسان، سواء كانت على مستوى التعامل المالي أو الأسري أو الجزائي أو الدستوري أو السياسي.

- كما يشتمل المصطلح أيضاً دراسة الأصول والمصادر التي نستقي منها تلك المعارف وهي : القرآن، والسنة النبوية المطهرة، والعقل الجمعي (الإجماع)، والعقل الفردي المتمثل في المقايسة القائمة على وحدة العلة (القياس)، واستلهام المصلحة المبينة على روح التشريع ومقاصده

---

(١) ثقافة المسلم؛ ص ١٢.

(٢) مدخل إلى علم الثقافة الإسلامية؛ للدكتور عبد الرحمن الزبيدي، ص ٩٧، وأضواء على الثقافة الإسلامية؛ د. نادية شريف العمري ص ٦١ - ١٠٢.

(٣) الشخصية الإسلامية؛ ص ١٧، طه محمد كسبه.

(المصالح المرسلة)، والاستحسان، وسد الذرائع، أو بناء الأحكام على قاعدة العفو أو البراءة الأصلية (الاستصحاب).

أهداف الثقافة الإسلامية وغاياتها :

في هذا العصر الذي نعيشه حالياً حيث يموج بالعديد من التيارات والأفكار التي تكاد أن تفقد المسلم ذاته وهويته فكراً وسلوكاً..

في هذا العصر الذي يسميه البعض عصر البعض (عصر الصراع الأيديولوجي)..

في هذا العصر.. تبدو الثقافة الإسلامية ضرورية بالنسبة للإنسان المسلم.. بيد أنها تمثل للداعية عدته الأساسية اللازمة لرسالته التي يدعو بها إلى الله، وبهذا يكون الداعية على بينة من ربه وتكون دعوته على بصيرة ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ﴾ [يوسف: ١٠٨].

وبالتالي فالثقافة الإسلامية هي فكر وهي سلاح الداعية في هذا الصراع العالمي.. وهي الدرع الواقي والحصن المنيع لما نواجهه من تحديات..

إنها تستطيع تقديم التصور الإسلامي الشامل والنظرات الكلية للحياة من خلال تجربة ا لإسلام الحضارية المتكاملة.

وللثقافة الإسلامية هدف أعلى هو صياغة الإنسان وإعداده وتهيئته لتحقيق معنى الخلافة في الأرض: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ [البقرة: ٣٠].

وبمقتضى تلك الخلافة ينهض الإنسان بإعمار الأرض: ﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾ [هود: ٦١]، وأن يأخذ مكانه في الحياة شاكراً لله.

هذا هو الهدف الأسمى الذي تسعى الثقافة الإسلامية لتحقيقه؛ وهو سلاح الإنسان في عقيدته وتصوره لتوحيد منطقه، وإصلاح نفسه وتزكية خلقه ليعيش في سلام مع داخله ومع الآخرين، وضبط سلوكه ليجانب الضرر والفساد.

* * * * *

القرآن الكريم وعلومه

فالقرآن هو المصدر الأول للإسلام وبالتالي هو المحور الأساسي للثقافة الإسلامية بما تشمله من عقائد ومفاهيم وعبادات وأخلاق وآداب وسلوكيات وقوانين وشرائع.. الخ..

فهو كتاب الدين كله.. وكتاب الزمن كله: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الحجر: ٩] خالد بخلود الزمن إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

كما أنه كلام الله المعجز: ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾ ﴾ [الأنعام: ١١٥].

﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ [الإسراء: ٨٨].

وعلوم القرآن :

هي أدوات لفهم كتاب الله وهي بمثابة مدخل لابد منه لدراسة القرآن [١]..

وأول علوم القرآن العملية : علم التلاوة.

وينبغي للداعية أن يحفظ القرآن.. وأن يواظب على تلاوته ليكون أقدر على استحضاره والاستشهاد به في كل مناسبة ممكنة.. فالقرآن ذخيرة لا تنفق ومعين لا ينضب وهو الكنز والوحيد والرصيد الثمين للدعاة التي تمكنه من تأييد فكرته ومنحها نسبة إلهية.

ولتعلم القرآن وحفظه وتعليمه وقراءته فضائل كثيرة :

ففي الحديث الشريف الذي أخرجه البخاري قوله ﷺ : «خيركم من تعلم القرآن وعلمه» وقوله عليه الصلاة والسلام : «مثل الذي يقرأ القرآن وهو حافظ له مع السفرة الكرام البررة.. ومثل الذي يقرأ القرآن وهو يتعاهده وهو عليه شديد فله أجران».. (متفق عليه).

---

(١) ثقافة الداعية؛ د. القرضاوي، ص ٣٠.

وقال عليه الصلاة والسلام : «اقرءوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه» (رواه مسلم).

وقال ﷺ : «الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة» (رواه أحمد والحاكم).

ويدخل في علم التلاوة :

أ) علم التجويد.

ب) أدب التلاوة والخشوع : فإن وجد بكاء بكى وإلا تباكى عند آيات التهديد والوعيد الشديد.. قال عليه السلام : اقرأوا القرآن وابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا أسفاً على فقده منه.

وقد أمرنا الله بالأول.. بقوله: ﴿ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴾ [المزمل: ٤].

وحسن لنا الثاني بقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ﴾ [البقرة: ١٢١].

وقد اعتبر علماء التجويد : أن **علم التجويد فرض** على اعتبار أن الإخلال بنطق كلمات القرآن إخلال بالمعنى.. فمثلاً قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ [البقرة: ٢٨٦]. ففي كلمة (لاَ تُؤَاخِذْنَا) حيث تحتاج الأخيرة إلى مد كاف فلو لم نمدها لنطقنا الكلمة (لاَ تُؤَاخِذْنَ) وعندئذ تصبح النون ساكنة، أي نون النسوة فسيتغير المعنى..

ولذلك كان أول ما يجب أن يتعلمه المسلم أن يتعلم تلاوة كتاب الله..

وأن يتعرف على آداب هذه التلاوة.. وقد ألفت كتب كثيرة ورسائل بعضها مطول والأخر قصير منها على سبيل المثال **في علم التجويد** :

- كتاب هداية المستفيد
- فن الترتيل
- قواعد الترتيل الميسرة : إعداد فتحي الخولي
- فن التجويد

ومنها في آداب التلاوة : البيان للنووي، وكتاب آداب التلاوة في (إحياء علوم الدين للإمام أبو حامد الغزالي).

ولا بأس للداعية إن هو أتقن علم التجويد أن يتعرف على علم القراءات، فهي في أحيان كثيرة موضحة للمعنى، مثل قراءة الآية في سورة هود: ﴿إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖ﴾ [هود: ٤٦]، وفي قراءة أخرى [إِنَّهُ عَمِلَ غَيْرَ صَالِحٍ﴾.

والآية في سورة يس: ﴿ وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ﴾ [يس: ٣٨] حيث قرئت في إحدى القراءات: [وَالشَّمْسُ تَجْرِي لا مُسْتَقَرَّ لَهَا﴾، والآية في سورة الحجرات: ﴿إن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ ﴾ [الحجرات: ٦] قرئت في إحدى القراءات [فتثبتوا]، وكما في قراءة الآيـــة:

﴿ لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ ﴾ [التوبة: ١٢٨] قرئت في إحدى القراءات [أَنْفَسِكُمْ﴾ بفتح السين وكسر الصاد أي من أزكاكم وأطهركم، وقراءة [مَـلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ قرأها نافع وآخرون على أنها صفة وقرأها حفص وآخرون على أنها اسم فاعل أي [مالك يَوْمِ الدِّينِ﴾، أي القاضي المترف في شئون يوما لدين، أما معنى [مَلِكِ﴾ فهو أعم من معنى مالك أي من بيده الأمر والنهي ومقاليد كل شيء ما ظهر منها وما خفي، وكلا المعنيين لائق بالله تعالى وهما مدح الله عز وجل.

غير أن علم القراءات لا يجب على الكل إتقانه..

إذ هو مجال للبعض أن يتخصص فيه، حيث يرى العلماء أنه فرض كفاية؛ إذ بمعرفة القراءات يمكن ترجيح بعض الوجوه المختلفة على بعض.. لكن ما نؤكد عليه خاصة إمام المسجد القراءة الصحيحة للقرآن كتاب الله.

والقراءة الصحيحة هي التي توفرت فيها ثلاث شروط :

- النقل المتواتر عن رسول الله ﷺ إمام الدعاة، أي صحة السند الذي يؤكد سماع القراءة عن النبي ﷺ.
- موافقة الرسم العثماني للمصحف ولو احتمالاً وبخاصة في الوقف.
- انطباق القراءة على وجه من أوجه اللغة العربية.

فإذا اختل شرط من هذه الشروط كانت القراءة غير صحيحة.

وما ورد عن كيفية قراءة القرآن كما كان يقرأه رسول الله ﷺ..

سئل أنس رضي الله عنه قراءة النبي ﷺ فقال : «كان يمد مداً إذا قرأ بسم الله الرحمن الرحيم يمد باسم الله ويمد الرحمن ويمد الرحيم».. (صحيح البخاري).

ويمكن التعرف على علوم القرآن من بعض الكتب القديمة والحديثة..

فمن كتب القدماء :

- البرهان في علوم القرآن للإمام الزركشي.
- والإتقان في علوم القرآن للحافظ جلال الدين السيوطي.

ومن الكتب الحديثة :

- مناهل العرفان في علوم القرآن للزرقاني.
- ومباحث في علوم القرآن للدكتور صبحي الصالح. ومثله للشيخ مناع القطان
- وكثير غيرها مما ألف لطلاب الكليات الإسلامية..

هذا وقد نشأ منذ عصر الصحابة خمسة علوم قرآنية أساسية هي :

١- علم الناسخ والمنسوخ

٢- علم أسباب النزول وأمكنة النزول

٣- علم غريب القرآن

٤- الرسم العثماني للمصحف

٥- علم التفسير

[١] علم الناسخ والمنسوخ :

فقد كان سبب وجوده (أسلوب التدرج في بعض الأحكام) حتى استقرت.

وهناك أشياء حجبت ثم أبيحت لحكمة.. وهناك قضايا اقتضتها ظروف خاصة ثم استقر الحكم فيها على شيء آخر مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ ۞ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا

نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾ ﴾ [البقرة: ١٠٦]. وليس هذا من باب البداء كما في عرف الشيعة والروافض بل واليهود، حيث يرونهما شيئاً واحداً، ولا يفهم كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فهما كاملاً إلا بمعرفة هذا العلم.. بل إنه بدون معرفة هذا العلم والإلمام بمضمونه يبقى الإنسان معرضاً للخطأ.

مر ابن عباس رضي الله عنهما بقاض، فقال له : أتدري ما الناسخ والمنسوخ؟ قال: لا.. قال له : هلكت وأهلكت.

وقيل دخل عليّ رضي الله عنه المسجد فإذا رجل يخوف الناس فقال : ما هذا؟ قالوا: رجل يذكر الناس.. فقال: ليس برجل يذكر الناس ولكنه رجل يقول: أنا فلان ابن فلان فاعرفوني فأرسل إليه.. فقال: أتعرف الناسخ والمنسوخ؟ فقال: لا.. فقال: فاخرج من مسجدنا ولا تذكر فيه.

ومعرفة الناسخ والمنسوخ ضرورية للداعية لئلا يثبت المنفي وينفي المثبت..

ومن أقرب التصانيف في هذا العلم التي جمعت الآيات المنسوخة في كتب خاصة يمكن للداعية الرجوع إليها :

- كتاب الناسخ والمنسوخ للنيسابوري
- كاب الناسخ والمنسوخ لابن حزم
- كتاب الناسخ والمنسوخ لأبي جعفر النحاس
- كتاب الناسخ والمنسوخ لأبي بكر بن العربي
- كتاب الناسخ والمنسوخ لمكي بن أبي طالب

هذا وقد يكون نسخ القرآن بالسنة وحجتهم بأن آية التحريم بعشر رضعات نسخت بالسنة، كما يجوز نسخ السنة بالقرآن كتحريم مباشرة النساء في رمضان ليلاً ونسخ بالقرآن: ﴿ فَٱلْـَٰٔنَ بَـٰشِرُوهُنَّ ﴾ [البقرة: ١٨٧].

[٢] علم أسباب النزول وأمكنة النزول :

وهو علم يبحث عن نزول سورة ومكانها ووقتها فمن القرآن ما هو نهاري ومنه ما

هو ليل، ومنه ما هو صيفي وما نزل في الشتاء، ذلك القرآن قد نزل منجماً خلال فترة ثلاث وعشرين سنة تقريباً، نزل بعضه بمكة، ونزل بالمدينة، وبعضه نزل في أماكن خاصة معينة.. وبعض القرآن حضري وبعضه سفري: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا ﴿٣٢﴾ ﴾ [الفرقان: ٣٢].

حيث نزل كما اتفق العلماء مراعاة لمقتضى الحال، وهذا وجه من وجوه إعجازه ومراعاة مقتضى الحال في القرآن الكريم لها دائرتان [1] :

الأولى : حين نزولـــه :

فلبعض آياته أسباب نزلت عندها.. وقد انقضت ودراسة القرآن في سياق ملابسات نزولـه ومعرفة حوادث السيرة التي رافقت النزول يد على أنه قد وافق مقتضى الحال آنذاك وحقق الغاية التي أنزلـه الله تعالى من أجلها فمثلاً قولـه تعالى: ﴿ فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِ ﴾[البقرة: ١١٥] وهو يقتضي عدم وجوب استقبال القبلة وهو خلاف الإجماع ولا يعلم ذلك إلا بأن نزولها كان في فترة السفر.

والصحابة الذين رافقوا هذه الفترة كانوا يستوعبون هذا استيعاباً تاماً حتى قال ابن مسعود رضي الله عنه كما جاء في صحيح البخاري : «والله الـــذي لا إله إلا هو ما نزلت سورة من كتاب الله إلا وأنا أعلـــم أيـــن نزلـــت.. ولا نزلـــت آيـــة من كتاب الله إلا وأنا أعلم فيم نزلت.. ولا أعلم أحداً أعلـــم مـــني بكتـــاب الله تبلغـــه الإبل لركبت إليه».

والثانية : ما بعد عصر النـــزول إلى قيام الساعة..

فعلى كل مسلم أن يقرأ القرآن وكأنه يتنزل الآن من السماء لأنه خطاب إلهي لكل البشر على مختلف بيئاتهم وهذا ما حققه القرآن أيضاً على طريقته الخاصة.

فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب..

وعلى الداعية أن يتعرف على أسباب النزول ليعرف المراد من ذلك وما يتعلق بها من تخصيص أو تعميم.

---

(١) انظر: مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية الكويتية؛ العدد ٥٩، ص ٢٣.

ومن المراجع التي نرشحها في هذا العلم للإلمام بأبوابه :

- كتاب أسباب النزول لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري وهو أشهر ما صنف فيه، وقد اختصره برهان الدين الجعبرى، فحذف أسانيده ولم يزد عليه شيئاً.

- كتاب لباب المنقول في أسباب النزول للإمام جلال الدين بن عبد الرحمن أبي بكر السيوطي المتوفى سنة ٩١١هـ، ولابن الجوزى البغدادى وللحافظ ابن حجر العسقلانى.

[٣] أما علم غريب القرآن :

فترجع أهمية هذا العلم حالياً عظيمة حيث ابتعد الناس عن الإحاطة باللغة العربية، ومن هنا استشعر بعضهم غرابة بعض ألفاظ القرآن عليهم، مما حدا ببعض العلماء على أن يكتبوا بخصوص هذا المعنى كتباً حول غريب، مثل أبو داوود السجستاني (٢٠٢-٢٧٥هـ).. ومثل: كلمات القرآن تفسير وبيان لفضيلة الشيخ حسنين محمد مخلوف.

وقد أحسنت بعض المطابع المتولية طبع المصحف الشريف حين وضعتها على هامش المصحف المطبوع.

[٤] أما الرسم العثماني للمصحف :

فإنه علم ضروري لأنه هو الصيغة التي كتب بها الصحابة المصحف مراعين في ذلك شروطاً كثيرة منها أن يستوعب هذا الرسم الأحرف السبعة بما يتفق منها ولغة قريش.

ومعرفة قراءة القرآن على الرسم العثماني ضرورية في حق كل قارئ.. وأما كتابة القرآن بها في معرفة ذلك فرض كفاية..

[٥] علم تفسير القرآن :

وعلم التفسير هو أشرف العلوم على الإطلاق؛ إذ يشرف الشيء بشرف متعلقه،

ومتعلق التفسير كلام الله عز وجل المنزّل على رسوله ﷺ لهداية الخلق أجمعين فيه سعادة الدارين والنجاة من الأمرين.

والغرض من التفسير معرفة النظم القرآني من حيث هو دين يرشد العالم إلى ماهية سعادتهم في حياتهم الدنيوية ومستقبلهم الأخروي وللحصول على قوة استنباط الأحكام الشرعية على وجه الصحة [١].

عرفه الزركشي بأنه علم يفهم به كتاب الله المنزل على نبيه محمد ﷺ وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه [٢].

وعرفه بعضهم بأنه علم يبحث فيه عن أحوال القرآن المجيد من حيث دلالته على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية [٣].

والبعض يعرفه بأنه : علم نزول الآيات وشئونها وأقاصيصها والأسباب النازلة فيها ومحكمها ومتشابهها وناسخها ومنسوخها وعامها ومطلقها ومقيدها ومجملها ومفسرها وحلالها وحرامها ووعدها ووعيدها، وأمرها ونهيها، وعبرها وأمثالها [٤].

وهذا التعريف مشتملاً على أقاسم القرآن التسع التي نظمها بعض شعراء الفقهاء في قوله :

إلا إنما القرآن تسعة أحرف ::: سأكتبها في بيت شعر بلا خلل
حلال حرام محكمة متشابه ::: بشير نذير يرقصه عظة مثل

وهناك فرق بين التفسير والتأويل :

قال الماتوريدي : التفسير؛ القطع على أن المراد هذا والشهادة على الله أنه عني باللفظ. هذا فإن قام دليل مقطوع به فصحيح، وإلا فتفسير بالرأي وهو المنهي عليه..

(١) انظر: نموذج من الأعمال الخيرية: محمد منير عبده أغا الدمشقي، ص ٢٩٧.
(٢) انظر: الإتقان؛ جـ ٢، ص ١٧٤.
(٣) انظر: منهج الفرقان، جـ ٢ ص ٦.
(٤) انظر: الإتقان جـ ٢، ص ١٧٤.

والتأويل: ترجيح أحد المحتملات بدون القطع والشهادة على الله [1].

وقال بعضهم : التفسير يتعلق بالرواية.. والتأويل ما يتعلق بالدراية [2]..

وقال الراغب: التفسير أعم من التأويل وأكثر استعماله في الألفاظ ومفرداتها وأكثر استعمال التأويل في المعانى والجمل.

وقال أبو طالب الثعلبى: التفسير بيان وضع اللفظ إما حقيقة أو مجازاً والتأويل تفسير باطن اللفظ مأخوذ من الأول وهو الرجوع لعاقبة الأمر، فالتأويل إخبار عن حقيقة المراد والتفسير إخبار عن دليل المراد.

مثاله قوله سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾ ﴾ [الفجر: ١٤] وتفسيره من الرصد منه وتأويله التحذير من التهاون بأمر الله سبحانه، والتأويل الكثرة باعتبار المعنى.

ويرى الدكتور الذهبي أن النسبة بين التفسير والتأويل هي التباين، وهذا هو المشهور عند المتأخرين، ويقول وقد نبه إلى هذا الرأي العلامة الألوسي في مقدمة تفسيره [3].

وقد تنوعت التفاسير بتنوع أغراض المفسرين.. فبعض المفسرين فسروا القرآن لغوياً وبلاغياً.. ولا يخفى علينا أن بعض ألفاظ القرآن جاءت بلغات غير عربية الأصلي، أي بلغات أعجمية مثل آدم - أباريق - توراة - جهنم - إستبرق - سرادق - طاغوت - فرعون - فردوس - مشكاة - هاروت وماروت - منسأة فيسورة سبأ، مثل اليم بمنى النهر في سورة القصص، وغيرها.. لكن هذه المفردات لها جذور لغوية في اللغة العربية.. كما أنها أصبحت عربية باستعمال العرب لها قبل عصر نزول القرآن، وفيه ورود القرآن بها لا يخرج القرآن عن كونه: ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ ﴾ [الشعراء: ١٩٥].

ومن المفسرين من شغل نفسه بإعراب كلمات القرآن كالزجاج النحوي والنسفي..

---

(١) نفس المرجع؛ ص ١٧٣.

(٢) نفس المرجع؛ ص ١٧٣.

(٣) انظر: التفسير والمفسرون؛ للدكتور الذهبي، ص ٢٢.

وبعضهم من قصد تفسير وتوضيح آيات الأحكام.. ومنهم من قصد فهم إشارات القرآن حتى أصبح بين أيدي المسلمين آلاف التفاسير منها المختصر ومنها المطول، ومنها الواضح الرمزي، على أن أياً من أصحاب هذه التفاسير لم يخل تفسيره للقرآن من ثقافة عصره الذي تزامن فيه.. وكل مفسّر فسّر القرآن بما وصل إليه علمه.

والمشكلة أن ثقافة عصر من العصور قد تكون فيها أخطاء، فإذا ما حمل القرآن عليها وأخذ هذا الحمل طابع الاعتقاد تكون النتائج تحميل القرآن هذا الخطأ وهو لا يحمله..

ومن هؤلاء المفسرين ما يذهب مذهب الرواية ويسمّى التفسير بالمأثور، ومنها ما ينحو نحو الدراية، ويسمى التفسير بالرأي، ولكل منهما خصائصه ومميزاته وعيوبه، فما يغلب على كتب التفسير المأثور وجود الإسرائيليات فيها، وكذلك الموضوع والضعيف من الروايات..

ومما يغلب على كتب التفسير بالرأي غلبة الطابع الشخصي أو المذهبي أو الزمني على مؤلفها، وقد ورد النهي عنه في حديث: «**من فسّر القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ ومن فسر القرآن برأيه فأخطأ فقد كفر**».

أما الروايات الإسرائيلية [1] فإنما تذكر في تفاسير الصحابة للاستشهاد لا للاعتقاد **وهي على ثلاثة أقسام** :

الأول : ما علمنا صحته مما في أيدينا مما يشهد له بالصدق، فلك صحيح.

والثاني : ما علمنا كذبه مما عندنا مما يخالفه.

والثالث : ما هو مسكوت عنه لا من هذا القبيل ولا من ذاك فلا يؤمن به ولا نكذبه.

ويجوز حكايته وغالب ذلك مما لا فائدة تعود إلى أمر ديني كأسماء أهل الكهف

(١) انظر: إسرائيليات في التفسير؛ للدكتور الذهبي، وأيضاً التفسير والمفسرون؛ للذهبي ص ١٧٨، جـ١. وهو حالياً ملحق شهري يصدر مع مجلة الأزهر الغراء بتوجيه من الدكتور رجب البيومي.

ولون كلبهم وعدتهم وعصا موسى من أي الشجر كانت.. وأسماء الطيور التي أحياها الله لإبراهيم وتعيين البعض الذي ضرب به القتيل من البقرة ونوع الشجرة التي كلم الله منها موسى إلى غير ذلك.

وأفضل التفاسير ما فسر القرآن بالقرآن.. فبالقرآن يفسر بعضه ولا يتناقض وذلك الآية إلى نظائرها مع سائر الآيات ذات الموضوع، فإذا لم يوجد فلنتجه إلى السنة لفهم الآية[1].

أو التفسير بالسنة الصحيحة ولا تناقض مع ذلك، ولا مع بعضها بما ي ذلك أقوال الصحابة.. فهم أدرى وفهم الصحابة إذا اجتمعوا حجة، ومنهم من فسر القرآن مثل عبد الله بن عباس وعبد الله بن مسعود وعليّ بن أبي طالب وأبي بن كعب.

وقد ذكر السيوطي في خطبة كتابه طبقات المفسرين أن المفسرين أنواع :

الأول : المفسرون من السلف الصحابة والتابعين وأتباع التابعين.

الثاني : المفسرون من المحدثين وهم الذين صنفوا التفاسير مسندة موردين فيها أقوال الصحابة والتابعين بالإسناد.

الثالث : بقية المفسرين من علماء السنة الذين ضموا إلى التفاسير التأويل والكلام على معاني القرآن وأحكامه وإعرابه وغير ذلك.

الرابع : من صنف تفسيراً من المبتدعة كالمعتزلة والشيعة وأضرابهم والذي لا يستحق أن يسمى بالمفسرين، ومما اتفق عليه العلماء أن تفسير الصحابي الذي شهد الوحيّ له حكم المرفوع إذا مما يرجع إلى أسباب النزول وكل ما ليس للرأي فيه مجال.. وما حكم عليه بأنه من قبيل المرفوع لا يجوز رده، بل يأخذه المفسر ولا يعدل عنه إلى غيره بأية حال.

أما ما يكون للرأي فيه مجال فهذا موقوف عليه ماذا لم يسنده إلى النبي ﷺ وما حكم

(١) تكوين الخطيب الرشيد د. محمد عبد العاطي، ص ٥٤.

عليه بالوقوف تختلف فيه أنظار العلماء..

وقد اتخذ التفسير في مرحلة الصحابة شكل الحديث وما عدا هذا فليس معصوماً..

ورسالة الدكتوراه التي نال بها الدكتور محمد حسين الذهبي إجازته العلمية في موضوع (التفسير والمفسرون) وهي جديرة أن تضمها مكتبة الدعاة أو قل مكتبات كليات الدعوة ومعاهد إعداد الدعاة على كافة مستوياتها:

- **تفسير ابن جرير** : وهو أبو جعفر محمد بن جرير الطبري المتوفى ٣١٠هـ وعدد أجزائه ثلاثون جزءاً :

- قال عنه الإمام النووي : أجمعت الأمة على أنه لم يصنف مثله.

- وقال عنه الإمام السيوطي : هو من أجلّ التفاسير وأعظمها فإنه يتعرض لتوجيه الأقوال وترجيح بعضها على بعض والإعراب والاستنباط، فهو يفوق بلك تفاسير الأقدمين.

- وقال عنه ابن تيمية في فتاواه : وأما التفاسير التي في أيدي الناس فأصحها تفسير الطبري فإنه يذكر بمقالات السلف بالأسانيد الثابتة وليس فيه بدعة ولا ينقل عن المتهمين كمقاتل بن سليمان..

وقد أخذ زبده ابن كثير الدمشقي المتوفى سنة ٧٧٤هـ.

- **تفسير ابن عطية القديم** : وهو أبو محمد عبد الله بن عطية الدمشقي المتوفى سنة ٣٨٣هـ.

- **تفسير الإمام الغزالي** حجة الإسلام المتوفى سنة ٥٠٥هـ واسمه ياقوت التأويل في تفسير التنزيل في ٤٠ مجلداً.

- **تفسير البغوي** : المتوفى ٥١٦هـ والمسمى بمعالم التنزيل، وهو كتاب متوسط نقل فيه عن مفسري الصحابة والتابعين ومن بعدهم.

- **تفسير النسقي** : المسمى بالتيسير في علم التفسير، وهو نجم الدين أبو حفص عمر بن محمد النسقي، المتوفى بسمرقند سنة ٥٣٧هـ.

- **تفسير الزمخشري** : المسمى تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل، للإمام أبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري، المتوفى ٥٣٨هـ. قال عنه صاحبه:

إن التفاسير في الدنيا بلا عدد ::: وليس فيها لعمري مثل كشافي
إن كنت تبغي الهدى فالزم قراءته ::: فالجهل كالداء والكشاف كالشافي

- **تفسير ابن عطية المتأخر** : المسمى بالمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز؛ وهو الإمام أبو محمد عبد الحق بن أبي بكر بن عطية، المتوفى سنة ٥٤٢هـ، وقد أثنى عليه أبو حيان وقيل كتاب ابن عطية أقل وأجمع وأخلص وكتاب الزمخشري ألخص وأعوض.

- **تفسير ابن العربي** : أبو بكر محمد بن بد الله بن أحمد بن العربي الأندلسي، والمتوفى سنة ٥٤٣هـ.

- **تفسير البيهقي** : وهو أبو المحاسن مسعود بن عليّ البيهقي، المتوفى سنة ٥٤٤هـ.

- **تفسير الخوارزمي** : وهو عليّ بن محمد الخوارزمي، المتوفى سنة ٥٦٠هـ.

- **تفسر الرازي** : المسمى بمفاتيح الغيب، وهو الإمام فخر الدين محمد بن عمر الرازي، المتوفى سنة ٦٠٦هـ.

- **تفسير ابن العربي** : وهو الشيخ محيي الدين محمد بن عليّ الطائيّ الأندلسيّ، المتوفى سنة ٦٢٨ه.

- **تفسير النسفي** : المسمى بمدارك التنزيل وحقائق التأويل، وهو الإمام حافظ الدين عبد الله بن أحمد النسفي، المتوفى سنة ٧٠١هـ، وهذا التفسير حازت القبول لدى الأزهر المعمور ودرس أعواماً وخاصةً في المرحلة الثانوية.

- **تفسير الخازن** : المسمى باللباب في معاني التزيل؛ وهو الشيخ علاء الدين عليّ بن محمد بن إبراهيم البغدادي الصوفي المعروف بالخازن، وهو ملخص معالم التنزيل للبغوي، لكنه يعاب عليه ما فيه من قصص وإسرائيليات.

- **تفسير ابن كـــثير** : وهو عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، المتوفى سنة ٧٧٤هـ، وهذا التفسير من أفيد كتب التفسير بالرواية، لأنه يتكلم في أسانيد الرواة جرحاً وتعديلاً غالباً وأشهر في العناية بما رويّ عن مفسري السلف الصالح، وبيان معاني الآيات القرآنية واستنباط الأحكام منها..

ومن مزاياه أنه يتحاشى ما أطال به الكثيرون من مباحث إعرابية ونكت من فنون البلاغة أو الاستطراد لعلوم أخرى لا يحتاج إليها فهم القرآن ولا التفقه فيه، ولا للألفاظ، ولكن يهتم بتفسير القرآن بالقرآن، فهو يأتي بالآيات المتناسبة في المعنى لتفسير غيرها، ويسرد بعد ذلك الأحاديث المرفوعة التي تتعلق بالآية، وبيان ما يصح دليلاً ويحتج به منها وما لا يحتج به منها، ويليهما آثار الصحابة رضي الله عنهم وأرضاهم، وأقوال التابعين ومن بعدهم من علماء السلف أهل العقيدة الصحيحة والعلم اليقين، ومنها تذكيره بما في التفسير المأثور من منكرات الإسرائيليات وتحذيره منها بالإجمال مع بيانه لبعض منكرات بالتعيين.

- **تفسير السيوطي** : للعلامة جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، المتوفى سنة ٩١١هـ، المسمى بالدر المنثور في التفسير بالمأثور، وهذا التفسير مختصر من تفسير كبير للمؤلف أسماه (ترجمان القرآن)، كما قال ذلك المؤلف في أول تفسيره، وهو ا لتفسير المسند عن رسول الله ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم، كما أن له مع جلال الدين محمد بن أحمد بن محمد المحلي وتفسير مصغر يسمى تفسير الجلالين.

- **تفسير الألوســـي** : المسمى روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني؛ للعلامة أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود بن السيد عبد الله الألوسي، المتـــوفى سنة ١٢٧٠هـ، قال عنه د/ الذهبي وهو من أشد التفاسير نقداً للإسرائيليات.

- **تفسير المنار** : للسيد محمد رشيد بن السيد علي رضا، حيث أكمل ما بدأه أستاذه الشيخ محمد عبده، وطريقته في التفسير أن يجمع بين صحيح المأثور المنقول وصريح المعقول الذي يبين حكم التشريع وسنن الله في الكون والإنسان ولم يستبيح لنفسه أن

يحشو تفسيره بإسرائيليات من أسفار التوراة [1].

- **تفسير البيضـــاوي** : المسمى أنوار التنزيل وأسرار التأويل للقاضي الإمام ناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر البيضاوي المتوفى سنة ٦٨٥هـ.
- **أحكام القرآن** لأبي بكر أحمد بن الحصاص، متوفى سنة ٣٧٠هـ.
- **تفسير أبي السعود** محمد بن محمد العبادي.
- **فتح القدير الجامع بين دفتي الرواية والدراية** من علم التفسير للعلامة عليّ بن محمد الشوكاني، المتوفى بصناء ١٢٥٠هـ وهو خمسة أجزاء.
- **تفسير القرطبي**: المسمى الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة ورأي الفرقان، لأبي عبد الله بن محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري القرطبي الأندلسي، أسقط منه القصص والتواريخ وأثبت عوضها أحكام القرآن واستنباط الأدلة وذكر القراءات والإعراب والناسخ والمنسوخ، وقد توفي سنة ٦٧١هـ رحمه الله ورضي عنه.
- **تفسير القـــاسمي**: وهو العلامة السيد محمد جمال الدين القاسمي الدمشقي، المتوفى سنة ١٣٣٢هـ، وهو في خمسة مجلدات.

وأرى أن نستفيد هنا بخبرة علمائنا المختصين كالدكتور الذهبي، حيث يرشح لنا في هذا المجال كتب التفسير الآتية: [2]

١- جامع البيان في تفسير القرآن لابن جرير الطبري.

٢- بحر العلوم لأبي الليث السمرقندي.

٣- الكشف والبيان عن تفسير القرآن؛ لأبي إسحاق الثعلبي.

٤- معالم التنزيل؛ لأبي محمد الحسين البغوي.

---

(١) انظر: الإسرائيليات في التفسير والحديث؛ للدكتور الذهبي، سلسلة البحوث الإسلامية يصدرها مجموع البحوث الإسلامية بالأزهر، ص ٢٥٤.

(٢) انظر: التفسير والمفسرون؛ للدكتور الذهبي جـ ١ ص ٢٠١.

٥- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز؛ لابن عطية الأندلسي.

٦- تفسير القرآن العظيم؛ لابن كثير.

٧- الجواهر الحسان في تفسر القرآن؛ لعبد الرحمن الثعالبي.

٨- الدر المنثور في التفسير المأثور؛ جلال الدين السيوطي.

ومن تفاسير المحدثين :

فإن الدكتور يوسف القرضاوي [١] يرشح لنا تفسير القاسمي، وتفسير المنار، وتفسير ابن عاشور، وتفسير ابن باديس، وفي ظلال القرآن، والتفسير الحديث لدوزه، وتفسير الأجزاء العشرة الأولى للشيخ محمود شلتوت شيخ الأزهر السابق، وتفسير جزء عم للشيخ محمد عبده.

ونضيف إلى هذه القائمة : صفوة التفاسير، والتفسير الوسيط للدكتور محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر، وتفسير الشعراوي، وتفسير المنير. لوهبة الزميلي، وتفسير المراغي.

ومع تطور علم التفسير نشأت الدراسات القرآنية المحددة ذات الموضوع الواحد قديماً وحديثاً، الأمر الذي توسعت به المكتبة القرآنية حتى إنك لا تجد شيئاً صغيراً أو كبيراً مما له علاقة بالقرآن إلا وقد ألفت فيه الكتب المفردة والمطولة والمختصرة [٢] وخاصة إعراب القرآن، وبلاغة القرآن والمجالات الشتى لإعجاز القرآن، وأحكام القرآن والإيجاز في القرآن، ومتشابه القرآن، والسيرة من القرآن، والقرآن والعلم الحديث، والقرآن والطب الحديث، والقرآن واليهود، وأخلاق القرآن، ومحكم القرآن.

ومن أشهر ما نرشحه للدعاة ويثري المكتبة الإسلامية في موضوع : بنو إسرائيل في القرآن الكريم دراسة لنيل إجازة العالمية (الدكتوراه) من جامعة الأزهر الشريف للدكتور محمد سيد طنطاوي شيخ الجامع الأزهر، ومثل تفسير آيات الأحكام للشيخ علي السايس.

---

(١) انظر: الدكتور يوسف القرضاوي؛ ثقافة الداعية ص٣٢.

(٢) انظر جند الله؛ سعيد حوى، ص ٧٧.

وهناك كتب حاولت أن تجمع الحديث عن كثير مما لـه علاقة في القرآن وعلومه مثل : الاتفاق في علوم القرآن للسيوطي، والرهان في علوم القرآن للزركشي، وكتاب مناهل العرفان في علوم القرآن للزرقاني.. ومن الأهمية في هذا المجال الاطلاع على قواعد التفسير لابن تيمية ومقدمة في التفسير لـه.

أما علم إعراب القرآن: وهو فرع من فروع علم التفسير على ما ف مفتاح السعادة ولكنه في الحقيقة هو من علم النحو كما ذكر السيوطى في الإتقان.

وهذا النوع أفرده بالتصنيف جماعة منهم:

الشيخ الإمام مكى بن أبى طالب حموش المتوفى سنة ٤٣٧ هـ - وأبو الحسن على بن إبراهيم الحوفى النحوى المتوفى سنة ٥٦٢ هـ وكتابه أوضحها وهو في عشر مجلدات - وأبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبرى المتوفى ٦١٦ هـ - وكتابه أشهرها وسماه البيان - وأبو إسحاق إبراهيم بن محمد السفاقسى المتوفى سنة ٧٤٢ هـ - وكتابه أحسن منه وهو في مجلدات سماه المجيد فى إعراب القرآن المجيد.

وممن صنف في إعراب القرآن من القدماء الإمام أو حاتم سهل بن محمد السجستانى المتوفى سمة ٢٤٨ هـ - وأبو مروان عبد الملك بن حبيب بن سليمان المالكى القرطبى المتوفى سنة ٢٣٩ هـ - وأبو العباس محمد بن يزيد المعروف بالمبرد النحوى المتوفى سنة ٢٨٦ هـ .

* * * * *

(ب) السنة الشريف المطهرة.. وعلومها

علم الحديث والسنة هو أشرف العلوم على الإطلاق؛ إذ به تبين الكتاب الحكيم المنزل من رب غفور رحيم بواسطة أمين الوحيّ جبريل على سيد الأنبياء والرسل المحفوظ بالعصمة من رب البرية ألا وهو سيدنا محمد ﷺ.

وعلم الحديث والسنة هو ما شرعه محمد بن عبد الله رسول الله ﷺ وسنه لأمته، وهو النجاة لمن تمسك به والعصمة لمن التجأ إليه وعوّل عليه.. وأهله هم حفاظ الشريعة وحراسها لمن يريد العبث بها، ولولاهم لذهب الدين واضمحل وكان عرضة للتغير والتبديل في كل زمان ومحل.. وهم عدول هذه الأمة على الإطلاق والكاشفون عنها الران والحجب على الإطلاق، وخلفا النبي ﷺ في وراثة رسالته وتبليغها، وهم خيرة الأمة والمزيلون عنها كل مدلهمة.. وترجع أهمية السنة للداعية باعتبارها المرجع الثاني لهم بعد القرآن الكريم.

بركة السنة :

يقول الشاعر :

أهل الحديث طويلة أعمارهم ::: ووجوههم بدعا النبي منضرة
وسمعت من بعض المشايخ أنهم ::: وأرزاقهم أيضاً به مستكثرة

وأهل السنة هم أقرب الناس منزلة يوم القيام من خير الشفعاء :

دين النبي محمد أخبار ::: نعم المطية الفتى آثار
لا ترغبن عن الحديث وأهله ::: فالرأي ليل والحديث نهار
ولربما جهل الفتى أثر الهدى ::: والشمس بازغة لها أنوار

والسنة هي المفصلة لما أجمل في القرآن.. ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ [النحل: ٤٤].

ذهب العلماء إلى تقسيم علم الحديث إلى نوعين : دراية ورواية.

عرف الأول برسمين : مختصر ومطول؛ فالأول علم يعرف به أحوال الراوي والمروي من حيث القول والرد.

والثاني؛ علم بقوانين يعرف بهـا أحوال المسند والمتن من صحة وحسن وضعيف ورفع ووقف وقطع وعلو ونزول.. وكيفية الحمل والأداء وصفات الرجال وقد ونظمه الجلال السيوطي في ألفيته فقال :

علم الحواديث ذو قواتين تجد ::: يدري بها أحوال متن وسند
فذاك الموضوع والمقصود ::: أن يعرف المتبول والمردود

والمعنى أن هذا العلم : (معايير النقد للسند والمتن) أو (علم الحديث دراية ورواية) أنه عبارة عن قواعد وضوابط يعرف بها بيان صحيح الحديث من ضعيف.. وحال الراوي والمروي عدلاً ضابطاً متوفرة فيه الشروط فيقبل خبرة ويحتج به، وإذا كان غير ذلك فترد روايته ولا يحتج بها بخبرة.. ومن ذلك لزم الإلمام بعلوم الحديث مثل :

- **علم أسباب ورود الحديث وأزمنته وأمكنته**: وقد ذكره أبو الخير وفيه مصنفات كثيرة لا تحصى.
- **علم مصطلح الحديث** : وهو يهتم بالأسماء والمسميات وأسباب الضعف ومواصفات صحة الحديث [1].
- **علم أسماء رجال الحديث** : ويهتم بتاريخ الرواة من حيث مولدهم ووفاتهم وموطنهم ورحلاتهم وتلامذتهم لنستبين من ذلك اتصال الإسناد أو عدم الاتصال.

فإذا كان الحديث سند ومتن فإن السند عبارة عن الرواة فمعرفة أحوالها علم الحديث كما صرح بذلك العراقي في شرح الألفية.

- **علم نقد وسند ومتن الحديث**: ويسمى بأصول الحديث وهو علم يبحث فيه عن صحة الحديث وض ليعمل به أو يترك من حيث صفات الرجال وصيغ الأداء.
- **علم الجرح والتعديل** [2] : علم ميزان الرجال وهو علم يبحث في الرواة من حيث ما ورد بشأنهم من تعديل يزينهم أو تجريح يشينهم، حيث يوضع كل راوٍ في درجة معينة من حيث العدالة والضبط : وقد وضع العلماء للتعديل خمس درجات أعلاها

(١) انظر السنة ومقارنتها في التشريع الإسلامي رسالة دكتوراه للدكتور مصطفى السباعي ص ١٢٦.
(٢) نفس المرجع السابق؛ ص ١٢٩.

أثبت الناس وأوثق الناس وأدناها مرتبة الصدق، ووضعوا للجرح والتعديل اثنى عشر درجة أدناها مختلق وكذاب ووضعوا كل راوٍ في درجة معينة من هذه الدرجة.

- **علم التخـــريج** : ويهتم بغزو الحديث إلى موضوعه من المصادر المعتبرة في الحديث.
- **وعلم دراسة الأسانيد** : والحكم على الحديث ويهتم بتطبيق القواعد والضوابط والموازين ليحكم على الحديث بالصحة أو بالضعف.. ولم يغفل علماء الحديث النظر في المتن وما يجب أن يبرأ منه المتن من علامات ضعفه أو وضعه.

فإلى جانب ذلك فهناك علوم أخرى للحديث منها :

- **علم علل الحديث**: والعلل سبب غامض قادح في الحديث مع أن الظاهرة السلامة منه.
- **علم مختلف الحديث** : ويهتم برفع التناقض فيما ظاهر التناقض بين الحديث وأول من تكلم فى هذه الإمام الشافعى المتوفى ٢٠٤ هـ.
- **وعلم شـــرح الحـــديث** : وتحليله تحليلياً أو موضوعياً ويهتم بشرح المفردات والأفكار واستنباط الأحكام أو جمع أحاديث الموضوعين معاً.
- **وعلم مناهج المحدثين** : ويهتم ببيان مناهج كل مؤلف حديث.. وما يحتويه كل كتاب من الموضوع.
- **علم غريب الحديث**: ويعنى ببيان معانى الكلمات الغامضة البعيدة عن الفهم[1].

وعموماً فإن هذا البحر الزاخر من العلوم لا يسبح فيه إلا هو متخصص، ونقصد من هذا تدقيق الداعية الشديد والاعتناء البالغ فيما يذكره من الأحاديث النبوية المطهرة.

(١) أبجد العلوم للقنوجى ص ٣٨٧.

- **تعريف السنة :**

تعني كل ما أثر عن الرسول ﷺ من أقوال أو أفعال أو تقرير أو تقرير أو سيرة أو حلق أو شمائل أو أخبار. وعلى هذا يسمى كل حديث خبراً ولا عكس.

فهناك احتمال ألا تكون هذه الأحاديث صحيحة وقد تكون موضوعة أو مكذوبة أو ضعيفة، وقد اهتمت جماعة أنصار السنة المحمدية لبيان حقيقة الأحاديث وخاصة المشهورة وخاصة في مجلة التوحيد التي تصدرها عنها شهرياً.

وعلى الداعي أن يأخذ في موضوع خطبته أو حديثه أو درسه أو محاضرته أو غير ذلك من وسائل دعوية الحديث الصحيح أولاً متى وجد بمراتبه المعروفة الصحيح لذاته أو الصحيح لغيره أو الحسن لذاته أو الحسن لغيره.. وأما الحديث الضعيف فلا يؤخذ به، وأما قولهم أن الحديث الضعيف يؤخذ في فضائل الأعمال، فهذا قول مردود فمتى وجد الصحيح كان فيه غناء عن الضعيف.

علامات الحديث الموضوع : وهي كثيرة أهمها :

- أن يكون الحديث ركيكاً لا يعقل أن يصدر عن النبي ﷺ ولم الذي أُوتي جوامع الكلم، قال الربيع بن خيثم : " إن للحديث ضوءاً كضوء النهار تعرفه وظلمة كظلمة الليل تنكره ".
- أن يكون الحديث مخالفاً للعقل دون إمكان تأويله أي فساد معناه.
- أن يكون الحديث خبراً عن أمر جسيم تتوافر الدواعي على تلك بمحضر الجمع ثم لا ينقله منهم إلا واحد.. ومخالفة لما جاء في الكتاب أو السنة المتواترة أو الإجماع القطعي.
- الإفراط بالوعيد الشديد على الأمر الصغير أو الوعد الصغير على الفعل الحقير، وهذا من عمل القصاصين.
- قال السيوطي : وكون الراوي رافضياً والحديث في أهل البيت كقولهم عن أن مسجد الإمام عليّ بالكوفة به عصا موسى وسفينة نوح وأن النبي ﷺ طاف به في رحلة

الإسراء والمعراج عندما نبهه إلى ذلك جبريل..

- مخالفته للوقائع التاريخية المقطوع بصحتها.
- صدور الحديث من راوٍ تأييداً لمذهبه وهو متعصب فقال فيه مثل من قال القرآن مخلوق فقد كفر.
- **والحديث المرفوع**: هو ما أضيف إلى رسول الله عليه السلام من أقوال وأفعال أو تقرير أو صفة سواء كان متصلاً أو منقطعاً أو مرسلاً.
- **والحديث المتصل**: هو ما اتصل سنده مرفوعاً أو موقوفاً.
- **أما الحديث المرسل**: هو رواية التابعي عن النبي ﷺ.
- **الحديث الموقوف**: هو ما أضيف إلى الصحابي ووقف عنده ولم يرتفع إلى رسول الله ﷺ.
- **الحديث المسند**: هو الحديث الذى لا يجتمع فيه صفات الحديث الصحيح ولا الحسن.
- **الحديث المقطوع**: وهو ما وقف على التابعي قولاً وفعلاً.
- **الحديث المنقطع**: هو ما سقط من إسناده راو أو أكثر في المسند وهو من أنواع الحديث الضعيف وقد يكون مرفوعاً أو موقوفاً.
- **الحديث الضعيف**: هو الحديث الذى لا يجمع فيه صفات الحديث الصحيح ولا الحسن.
- **الأحاديث الموضوعة**: وهي الأحاديث المكذوبة عن النبى ﷺ أو هو الحديث الذى صنعه بعض الناس ونسبه إلى النبى ﷺ.
- **أما الحديث الصحيح** : هو الحديث المسند الذي يتصل إسناده بنقل العدل الضابط عن العدل الضابط إلى منتهاه وسلم من الشذوذ والعلّة القادحة [1].

(١) انظر: كتاب السنة؛ للدكتور عبد الله شحاته من سلسلة كتاب اليوم، وانظر الباعث الحثيث ص ٢١.

- **الحديث الحسن** : ما عرف مخرجه واشتهر رجاله وعليه مدار أكثر الحديث وهو الذي يقبله أكثر العلماء.
- **الحديث السقيم** : وهو المعيوب شرها الموضوع ثم المقلوب، أعني ما قلب إسناده ثم المجهول.

ومن أشهر الكتب المصنفة في الحديث :

أ) **صحيح البخاري** : للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري المتوفى سنة ٢٥٦هـ والمسمى الجامع المسند الصحيح، وهو أول كتاب صنف في الحديث الصحيح فقط، وقد جمع فيه البخاريّ (٩٠٨٢) حديثاً [١] اختارها من بين ستمائة ألف حديث، حيث بذل في تصنيفه ستة عشر سنة حتى تم له تصنيفه على النحو الذي بأيدينا.

وصفه العلماء بأنه أصح كتاب بعد القرآن الكريم كما يقول الإمام النووي.

وقال فيه ابن عامر الفضل بن إسماعيل الجرجاني :

صحيح البخاري لو أنصفوه ::: لما خط إلا بماء الذهب
أسانيد مثل نجوم السماء ::: أمام متون كمثل الشهب
به مقام ميزان دين النبي ::: ودان له العجم بعد العرب

ب) **صحيح مسلم** : للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج، المتوفى سنة ٢٦١هـ، وهو ثاني كتاب صنف بعد صحيح البخاري، وقد صنفه الإمام مسلم من ثلاثمائة ألف حديث مسموعة واستغرق في تهذيبه وتنقيحه خمس عشرة سنة وقال : " ما وضعت شيئاً في كتابي هذا إلا بحجة وما أسقطت منه شيئاً إلا بحجة "..

وقال : "ليس كل شيء عنده صحيح وضعته هنا، إنما وضعت ما أجمعوا عليه؛ يرد ما جده عنده فيها شرائط الصحيح المجمع " [٢].

وعدة أحاديث صحيح مسلم دون المكررات (٣٠٣٠) حديثاً ويبلغ مجموع ما فيه من طرق الأحاديث المختلفة، نحو عشرة آلاف حديث، أما المكرر فاختلف فيه فقيل ٧٢٧٥ حديثاً وقيل ٨-١٢ ألف حديث.

---

(١) انظر: مقدمة فتح الباري؛ ص ٤٦٥ - ٤٧٠.
(٢) انظر: تدريب الراوي؛ ص ٤٥.

وقد ورد في شرح ألفية الحديث لزين الدين العراقي :

أول مـــن صـــنف في الحـــديث ::: محمـــــد خـــــص بـــــالترجيح
ومسلم بعد وبعض أهل الغرب مع ::: أبي علـــى فضـــلوا ذا الواقـــع

ومما لا شك فيه أن لكل من الصحيحين مميزات خاصة لا توجد في الآخر..

ويقول د/ عبد الله شحاته وقد ذهب جمهور أهل العلم إلى نقد تقديم صحيح البخاري على صحيح مسلم، وخالف ذلك طائفة من علماء المغرب [1].

وأما ألطف ما قاله الحافظ عبد الرحمن بن عليّ بن الديع :

تنازع قوم في البخـــاري ومســـلم ::: لـــديّ وقـــالوا أي زيـــن يقـــدم
فقلت لقد فاق البخـــاريّ صـــحة ::: كما فاق في حسن الصناعة مسلم

ولبعضهم في ذلك :

قـــــالوا لمســـــلم فضـــــل ::: قلـــــت البخـــــاري جلـــــلاً
قـــــالوا البخـــــاري يكـــــرر ::: قلـــــت المكـــــرر أحلـــــى

مراتب الصحيح بالنسبة للصحيحين :

وإن كان كل ما ورد في الصحيحين صحيحه إلا أن علماء الحديث ذهبوا إلى بيان هذه المراتب كما :

– **المرتبة الأولى** : صحيح أخرجه البخاري ومسلم جميعاً.. وهذا ما يقول فيه أهل الحديث (متفق عليه) وقد صنف في ذلك اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق فيه الشيخان.

– **المرتبة الثانية** : صحيح انفرد به مسلم عن البخاري ويلي هذه المراتب:

١- الصحيح الذي على شرطيهما ولم يخرجاه

٢- الصحيح الذي على شرط البخاري ولم يخرجه

٣- الصحيح الذي على شرط مسلم ولم يخرجه

٤- ما كان صحيحاً عن غيرهما وليس على شرط منهما

(١) السنة، ص ٤٦.

يقول د. عبد الله شحاته : والحق أنه لم يفت الصحيحين وكتب السنن إلا اليسير [1].

وهذا اليسير في كتب السنة والمسانيد.. وفي المصنفات المختصة بجمع الصحيح فقط الصحيح ابن خزيمه (ت٣١١هـ) وصحيح ابن حبان (٣٥٤هـ)، وكتاب المستدرك على الصحيحين لأبي عبد الله الحاكم النيسابوري (٤٠٥هـ).

ومن كتب السنن :

١- **سنن أبي داوود** : وقد صنف أبو داود سننه على أبواب الفقه واقتصر فيها على السنن والأحكام وقد ضمن في كتابه القصص والمواعظ والأخبار والزهد وفضائل وغيرها.

وكان قد جمع خمسمائة ألف حديث انتخب منها أربعة آلاف وثمانمائة حديث ضمنها كتابه وعدة ما فيه بالمكرر (٥٢٧٤) حديثاً.

وقد بين أبي داوود منهجه في كتابه فقال: ذكرت الصحيح وما يشبهه ويقاربه وما كان فيه وهن شديد بينته.

٢- **سنن الترمذي** : للإمام الحافظ أبو عيسى محمد بن سوره المتوفى سنة ٢٧٩هـ؛ وهو ثالث الكتب الستة الصحيحة وأحسنها ترتيباً وأقلها تكراراً، وقد يعرف باسم (جامع الترمذي)، ويتساهل فيه البعض فيطلق عليه اسم (الجامع الصحيح) [2].

وقد قيل فيه :

كتاب الترمذي رياض علم ::: حكت أزهاره زهر النجوم
به الآثار واضحة أبيت ::: بألقاب أتمت كالرسوم
فأعلاها الصحاح وقد أنارت ::: نجوماً للخصوص وللعموم
ومن حسن يليها أو غريب ::: وقد بان الصحيح من السقيم

فقد أخرج الترمذي في كتابه الصحيح والحسن والضعيف والغريب.. كما أنه جمع بين المصطلحات جمعاً لم يسبق إليه في قوله (صحيح وحسن، وصحيح غريب)،

(١) انظر: كتاب السنة؛ د. عبد الله شحاته، ص ٤٧.
(٢) انظر: الباعث الحثيث؛ لابن كثير، ص ٢٢.

وغير هذا.. وقد ألف الترمذي على أبواب الفقه وغيره.

٣- **سنن النسائي** : للإمام أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي المتوفى سنة ٣٠٣هـ، وقد صنفه النسائي نحو خمسة عشر مؤلفاً، جلها في الحديث وعلومه، وأشهرها كتاب السنن، ويمسي كتابه هذه (السنن الكبرى)، وقد قدمه إلى أمير الرملة فقال له : أكل ما فيها صحيح؟ قال: فيها الصحيح والحسن وما يقاربهما.. فقال له: فاكتب لنا الصحيح منه مجرداً فاستخلص من السنن الكبرى (السنن الصغرى) وسماه المجتبى.

والسنن الصغرى أقل السنن حديثاً ضعيفاً وهي التي بين أيدينا اليوم وهي التي يعتمد عليها المحدثون عن النسائي.

وعدة أحاديث السنن الصغرى (٥٧٦١) حديثاً.. وبالجملة فكتاب السنن للنسائي أقل الكتب بعد الصحيحين ضعيفاً ورجلاً مجروحاً، وهي برتبة سنن أبو داوود أو قريباً منها، لما عرف النسائي من شدة التحري ولهذا كان كتاب النسائي ثاني السنن الأربعة.

٤- **سنن ابن ماجه** : للإمام أبو عبد الله بن يزيد بن ماجه القزويني الحافظ؛ المتوفى سنة ٢٧٣هـ، وابن ماجة لقب أبيه وقد صنف كتابه السنن على أبواب الفقه كما هو الشأن في صحيحي البخاري ومسلم، وسنن أبي داود والنسائي والترمذي، ولم يلتزم فيه إخراج الصحيح فقط، فجمع كتابه بين الصحيح والحسن والضعيف والواهي، لذلك لم يدخل كثير من العلماء كتابه في الكتب السنة قبل القرن السادس، كان أول من ضمه إلى الكتب الخمسة : أبو الفضل محمد طاهر المقدسي (ت٥٠٧هـ) في كتابه أطراف الكتب السنة وتبعه على ذلك أهل العلم من بعده.. لكن غالب المتأخرين على أنه سادس الستة.

وجملة أحاديث هذا الكتاب ٤٣٤١ حديثاً منها (٣٠٠٢) أخرجها أصحاب الكتب الخمسة كلهم وباقي الأحاديث وعددها (١٣٢٩) حديثاً وهي الزائد على ما جاء فيه الكتب الخمسة.

ومن كتب المسانيد :

١- **مسند الإمام أحمد بن حنبـــل الشـــيباني**؛ المتوفى سنة ٢٤١هـ انتخب أحاديثه الأربعين ألفاً من ٧٥٠ ألف حديث سلك فيه مصنفه مسلكاً يغير مسالك المصنفين فقد رتب كتابه على أسماء الصحابة الذين بلغ عددهم في مسنده نحو سبعمائة رجل ومن النساء مائة ونيف أي بجملة نحو ثمانمائة من الصحابة.. مرتبة حسب الحروف الأبجدية.

وأحاديث المسند تدور بين الصحيح والحسن والضعيف، إلا أن الضعيف الذي فيه يقرب من الحسن ولا يعدو أصابع اليد، ويقول ابن الجوزي إن به ٣٨ حديثاً ظهرت له سمة الوضع على زعمه.

٢- **مسند الدارميّ** : للإمام أبو سعيد عثمان بن سعيد بن خالد؛ ص ٢٠٨ هـ.

٣- **مسند أبي بكر الرازيّ** : المتوفى بالرملة ٢٩٢هـ، قيل له مسندان؛ الكبير المسمى بالبحر الزاخر بين فيه الصحيح من غيره، وله الصغير.

٤- **مسند أبي يعلي الموصليّ** : والمتوفى سنة ٣٠٧هـ قيل له مسندان صغير وكبير.

وإذا كانت الكتب الصحاح الستة قد رتبت أحاديثها على حسب أبواب الفقه كما رأينا.. ومسند الإمام أحمد قد رتب حسب أسماء الصحابة، فهناك طريقة ثالثة في تأليف السنة ما يسمى بالموطأ أي أن العالم بالحديث والحافظ للآثار يجمع ديواناً ومؤلفاً في ذلك ويوطئه للناس، فيواطئون عليه أي يوافقون.

قال أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الكناني الأصبهاني : قلت لأبي حام الرازي: موطأ مالك بن أنس لمرسمي موطأ فقال : شيء قد صنفه ووطأه للناس حتى قيل : موطأ مالك كما قيل جامع سفيان.

٥- **موطأ مالك** : (مالك بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث)؛ المتوفى سنة ١٧٩هـ.

وسبب تأليفه كما قال الإمام الشافعي الذي يعتبر موطأ مالك أصح كتب السنن حتى عن البخاري.. بعث أبو جعفر المنصور إلى مالك لما قدم المدينة فقال له :

إن الناس قد اختلفوا في العراق فضع للناس كتاباً تجمعهم عليه فوضع الموطأ.

قال جلال السيوطي في (تزيين المماليك بمناقب الإمام مالك) جملة في الموطأ من الآثار عن النبي ﷺ عن الصحابة والتابعين (١٧٢٠) حديثاً والموقوف (٦١٣) ومن التابعين (٢٣٥).

وقال ابن حزم في كتاب (مراتب الديانة) : أحصيت ما في الموطأ فوجدت فيه من المسند خمسمائة ونيفاً وفيه ثلاثمائة ونيفاً مرسل وفيه نيفاً وسبعون حديثاً قد ترك مالك نفسه العمل بها.. وفيه أحاديث ضعيفة وهو الذي انتهى إلينا من مسند موطأ مالك.

وقال أبو القاسم بن عساكر بلغ رواة الموطأ عن مالك إحدى وعشرين رجلاً ونظمها في أبيات أولها :

رواة موطأ مالك إن عددهم ::: فعشرون عدا الضابطون واحد

وقال الحافظ ابن ناصر الدين : فتتبعت زيادة على ما ذكر فوقع لي ثمانية وخمسون سواهم من الرواة فبلغوا تسعة وسبعين ثم نظمهم في أبيات :

ومن علماء الحديث ما رتب مصنفه بحسب شيوخ الملف على حروف العجم وما روعي عنه من الأحاديث كالمعجم الأوسط والصغير للطبراني.. وكما رأينا يسمى معجم ومثل معجم الحاكم ومعجم المنذري ومعجم الذهبي ومعجم الحافظ ابن حجر.

ومن أشهر الكتب التي جمعت أمهات كتاب الحديث أو مختارات منها أو زيادات عليها مثل :

- **مجمع الزوائد للهيثمي** : جمع فيه زوائد مسانيد الإمام أحمد والبزار وأبو يعلي ومعاجم الطبراني الثلاثة وهو مطبوع في عشرة أجزاء.. جمع فيه الكتب الأصول في الحديث.. وهي الموطأ وصحيح البخاري وصحيح مسلم وسنن أبي داوود وسنن النسائي وسنن الترمذي لكن لم يضم إليها سنن ابن ماجه، وقال بعض العلماء لو كان مسند الدرامي مكان الموطأ، واكتفى بذكر الصحابيّ راوي الحديث.. وصنف

هذه الأحاديث على أبواب الفقه تقريباً وصنف هذه الأبواب على أبواب المعجم.

- **جمع الجوامع** : لجلال الدين السيوطيّ؛ فجمع منها مائة حديث ومات قبل أن يتم تصنيفه، لكن له الجامع الصغير في أحاديث البشير وكان يقول : أكثر ما يوجد على وجه الأرض من الأحاديث النبوية والفعلية مئتا ألف حديث وهي التي جمعت من كتب ألفت في عصور مختلفة.
- **جمع الفوائد من جامع الأصول ومجمع الزوائد** : للعلامة محمد بن سليمان؛ ت بدمشق سنة ١٠٩٤هـ، جمع فيه بين كتابي ابن الأثير والهيثمي وأضاف إليهما زوائد الدرامي وابن ماجه، فبلغ أكثر من عشرة آلاف حديث.
- **كتاب الجامع للأصول** : للشيخ المعمر منصور بن عليّ ناصف؛ جمع فيه الأصول الخمسة صحيحي البخاري ومسلم وسنن أبي داود والنسائي والترمذي وحذف الأسانيد.
- **ومن معاجم الحديث** : المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي لبعض المستشرقين ومفتاح كنوز السنة وقد عربه محمد فؤاد عبد الباقي.
- **جامع المسانيد للخوارزمي**.

وقد اصطلح العلماء على تقسيم كتب الحديث بالنسبة إلى الصحة والحسن والضعيف إلى طبقات أربع:

- **الطبقة الأولى** : تنحصر في صحيحي البخاري ومسلم وموطأ مالك بن أنس وفيها من أقسام الحديث المتواتر والصحيح الأحاديث والحسن.
- **الطبقة الثانيـــة** : وفيها جامع الترمذي وسنن أبي داوود ومسند أحمد بن حنبل ومجتبى النسائي.. وقد تساهل أصحابها فيما اشترطوه على أنفسهم وتلقاها من بعدهم بالقبول وإن كانت لا تخلو من الضعف.. وهاتين الطبقتين يستنبط منها العلماء أصول العقيدة والشريعة.
- **الطبقة الثالثة** : الضعيف من شاذ ومنكر ومضطرب كمصنف عبد الرزاق وكتب الطبراني والبيهقي.. وهذه الطبقة لا يستطيع الاعتماد عليها والاستمداد منها إلا

جهابذة المحدثين المتخصصين في الحديث وعلومه.

- **الطبقـــات الرابعـــة** : مصنفات هزيلة جمعت من أفواه القصاصين والوعاظ المتصوفة وأصحاب البدع والأهواء، وهذه يجب ألا يعول عليها أحد.

كما أن لبعض هذه الكتب الصحاح مختصرات يمكن أن تكفي لمن لم تسعفه الهمة والوقت بالرجوع إلى الأصول ذاتها :

- مثل التجريد الصريح للزبيدي وهو مختصر البخاري حذف منه المكررات والمعلقات والأسانيد.
- ومختصر صحيح مسلم للمنذري بتحقيق الألباني.

والى جانب ذلك فتوجد هناك كتب الشروح وهي جدنا فيه ولا يستغنى عنه داعية كما يقول د. القرضاوي: ففيها من الفوائد الحديثة والفقهية والأصولية واللغوية والأدبية والتاريخية والأخلاقية، فهي مفاتيح لمن أراد أن يفتح مغاليق ما أشكل من الأحاديث أو بدا تعارضه في الظاهر..

ولا يسع أي عالم أن يعرض عن هذه الثروة ويبدأ وحده من جديد، فهذا مناف لمنطق العلم ومنقط العقل ومنطق التاريخ [1].

ومن هذه الكتب :

أ- **شرح البخاري** : مثل عمدة القاري للعيني، وإرشاد الساري للقسطلاني، وفتح الباري في شرح البخاري لابن حجر، وهو الذي قال فيه الشوكاني : لا هجرة بعد الفتح، والكواكب الدراري في شرح البخاري للكرماني.

ب- **شرح مسلم وأهمها** : شرح النووي وشرح الأبي والسنوسي والمنهاج لابن حجاج وفتح الملهم للدبوبندي.

ج- **شـــرح أبي داوود** : مثل معالم السنن للخطابي.. وتهذيب السنن لابن القيم، وعيون المعبود للديناوي وبذل المجهود للسهارنفوري والمنهل العذب المورود

(١) انظر: ثقافة الداعية؛ ص ٤٦.

لمحمود خطاب السبكي، ولو أنه لم يكمله.

د- **شرح مسند الإمام أحمد** : مثل القول المسدود لابن حجر.

هـ- **شروح الترمذي** : مثل عارضة الأحوذي لابن العربي، وتحفة الأحوذي للمباركوري.

و- **شروح موطأ مالك** : مثل المنتقى لابن الوليد المباجي، وتنوير الهوالك لجلال الدين السيوطي، والمسوى للدهلوي، وأوجز المسالك لمحمد زكريا الكاند هلوي.

ز- **شرح الجامع الصغير للعلامة المناوي** : في كتابه فيض القدير في ستة مجلدات وقد اختصره في شرح مختصر سماه التيسير، وقد طبع في مجلدين، والسراج المنير للغريزي، وقد طبع في ثلاث مجلدات.

وهناك كتب أخرى متخصصة هدفها تجميع نوع معين كأحاديث الأدعية والأذكار والمأثورات مثل كتاب الأذكار للإمام النووي، وكتاب الطيب لابن تيمية.

وأحاديث الآداب والفضائل وما يتعلق بها : مثل :

- كتاب الأدب المفرد للبخاري.
- وكتاب شعب الإيمان للبيهقي.
- وكتاب رياض الصالحين للنووي، وله شرح حسمي دليل الفاتحين، وقد طبع في أربعة مجلدات.
- والأحاديث التي تضمن الترغيب والترهيب للحافظ المنذري وله مختصر.

أولاً : كتب الأحاديث المتعلقة بالأحكام الفقهية :

- مثل عمدة الأحكام للحافظ المقدسي، وقد شرحه ابن دقيق العيد، ويشمل أحاديث الصحيحين فقط.
- نيل الأوطار للإمام الشوكاني الذي أخذ عنه سيد سابق فقه السنة.
- ومنتقى الأخبار من أحاديث سيد الأخبار لابن تيمية وشرحه للشوكاني.

- وبلوغ المرام من أدلة الأحكام للحافظ بن حجر.
- وسبل السلام للصنعاني.
- إلى جانب شرح بلوغ المرام للصنعاني.
- وكتب الشمائل والهدي النبوي مثل الشمائل المحمدية للترمذي، وزاد المعاد لابن القيم.

ومن أهم ما صنف في مختلف الحديث وشكله ويتناول الأحاديث التي ظاهرها التعارض من حيث الجمع والتوفيق بينها كتاب تأويل مختلف الحديث للدينوري (ت٢٧٦هـ).

وفي أسباب ورود الحديث : البيان والتعريف لمحمد كمال الدين الحسيني.

أما ما صنف في غريب الحديث : وتوضيح مفرداته والجمل الغريبة في الحديث فأهمها :

- غريب الحديث لأبي عبيد.
- والفائق في غريب الحديث للزمخشري
- والنهاية في غريب الحديث
- والأثر لابن الأثير
- ومشارق الأنوار للقاضي عياض.

ومن أهم المصادر والمراجع التي صنفت في أصول الحديث وعلومه ومصطلحه :

- كتاب معرفة علوم الحديث للحاكم.
- تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي للسيوطي.
- توضيح الأفكار لمعاني تنقيح الأفكار للصافي.
- قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث للقاسمي.

- توجيه النظر إلى أصول الأثر للشيخ طاهر الجزائري.
- وأصول الحديث للدكتور محمد عجاج الخطيب.
- المدرسة الفقهية للمحدثين للدكتور عبد المجيد محمود
- علوم الحديث لابن الصلاح
- الجرح والتعديل لابن حاتم الرازي.

وهنا كتب عامة في السنة للرد على شبهات حول السنة والتعريف بها وبيان الحاجة إليها مثل :

- السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي للدكتور مصطفى السباعي، ونال بها درجة الدكتوراه في الحديث من الأزهر الشريف.
- الحديث والمحدثون للدكتور محمد محمد أبو زهو.
- ظلمات أبي رية لمحمد عبد الرازق حمزة.
- والسنة قبل التدوين لمحمد عجاج الخطيب.
- أبو هريرة راوية الإسلام لمحمد عجاج الخطيب.
- كتاب دفاع عن السنة ورد شبهات المستشرقين للدكتور محمد محمد أبو شهبة طبعة مجمع البحوث الإسلامية بمصر وفي نفس المجال كتاب الرد على الشبهات في السنة للدكتور أحمد عمر هاشم طبع وزارة الأوقاف المصرية.

مراتب أهل الحديث:

وأرى قبل أن نختم حديثنا عن علوم الحديث أن نذكر ما قاله المناوى: لأهل الحديث مراتب هى:

الطالب: وهو المبتدئ.

ثم المحدث: وهو من يتحمل الحديث ويعتنى به رواية ودراية.

ثم الحافظ: وهو من حفظ مائة ألف حديث متناً وإسناداً ووعى كل ما يحتاج إليه.

ثم الحجة: وهو من أحاط علمه بثلاثمائة حديث.

ثم الحـــاكم: وهو من أحاط علمه جميع الأحاديث المروية متناً وإسناداً وجرحاً وتعديلاً وتأريخاً.

ثم أمير المؤمنين في الحديث: وهو أعلى هذه المراتب.

وكلمة أخيرة أهمس بها في أذن الداعية؛ قال وكيع [1] : " إذا أردت حفظ الحديث فاعمل به.. ولا تكتم شيئاً منه".. وعليه أن يحفظ أكبر قدر من الأحاديث بما فيها من العبادات والمعاملات والأخلاق والآداب والسير وشروحها، فهي من الأهمية بمكان.

* * * * *

(١) انظر: الباعث الحثيث؛ لابن كثير، ص ١٥٨.

(ج) علوم العقيدة.. والتوحيد

وعلم التوحيد من أجل العلوم على الإطلاق إذ يتعلق بذات الله وصفاته وأفعاله..

والتوحيد إفراد الله بالخلق ذاتاً وصفة وفعلاً أي ليس لغيره تأثير ما مطلقاً.

ويسمى أيضاً علم الكلام وعلم أصول الدين والعقائد ولكل وجهة.

وهو علم يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية مؤيدة بالأدلة الشرعية والرد على المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات عن مذاهب أهل السنة، ومن هنا تأتي أهمية الإلمام بهذا اللم لكل مسلم عامة، وللداعية خاصة.

ألا ترى أن التوحيد كان أول دعوة للرسل وأول منازل للطريق وأول مقام يقوم فيه السالك إلى الله عز وجل.. قال الله تعالى: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ﴾ [الأعراف: ٥٩]، وكذلك قال هود عليه السلام لقومه: ﴿ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ﴾ [الأعراف: ٥٩].

وبالجملة قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ [النحل: ٣٦].

وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

فما جاء نبيّ من لدن آدم إلى سيدنا محمد ﷺ إلا بهذه الدعوة وهذه الكلمة، وهي التوحيد وهو ما جاء به خاتم الأنبياء وسيد المرسلين وكان عليه السلف ودام عليه الخلف، وهو الإيمان بالله تعالى وبما جاء به رسوله من الإيمان بملائكته ونبيه ورسله واليوم الآخر والقضاء خيره وشره (أو ما يعرف بالغيبيات).

وقد تلقى الصحابة رضوان الله عليهم عقائدهم الحقة ودينهم الصحيح من الرسول ﷺ.. فكان أحدهم إذا قرأ قوله تعالى أو تُلِيَ عليه: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ﴾ [الإخلاص: ١]، فهم منه أن الخالق الذي أوجد السماوات والأرض وما بينهما واحدا لا ثاني له في ملكه يتصرف فيه كيف يشاء.

وإذا سمع قولـه تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة: ٢٠] فهم من ذلك أن ربه يتصف بقدرة يقدر بها على كل شيء.. وإذا سمع قولـه تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١] علم أن لله سمعاً وبصراً.. وإذا سمع قولـه تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ ﴾ [المائدة: ٩٩] علم أن الله متصف بصفة العلم.. وإذا سمع قولـه تعالى: ﴿ فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ ﴾ [هود: ١٠٧] فهم أن لله صفة الإرادة.. وإذا سمع قولـه تعالى: ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ﴾ [النساء: ١٦٤] علم أن الله تبارك وتعالى متصف بصفة الكلام.. وإذا سمع قولـه تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴾ [البقرة: ٢٥٥] فهم أن لله صفة الحياة.. وكذلك إذا سمع قولـه تعالى: ﴿ يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡ ﴾ [الفتح: ١٠]، وقولـه تعالى: ﴿ وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الرحمن: ٢٧]، وقولـه: ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴿٥﴾ ﴾ [طه: ٥]، وقولـه: ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا ﴿٢٢﴾ ﴾ [الفجر: ٢٢]، وقولـه ﴿ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ يَعۡرُجُ إِلَيۡهِ ﴾ [السجدة: ٥]. وما شاكل ذلك من الآيات المتشابهة فيها أفعاله وصفه الله بها نفسه اعتقدوا وسلموا بها بدون تأويل أو تحريف أو تعطيل وتصحيف منهم..

وكذلك ما جاء بـه الرسول عليه الصلاة والسلام من الأحاديث الصحيحة في البخاري وغيره من النزول والمجيء والمشي والهرولة وغير ذلك يؤمنون به وينزهون الرب من كل ما يماثل ويشابه المخلوق ومصداقاً لقولـه: ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١] في النفي والإثبات، فقد أخبر الله في هذه الآية تنزيهه نفسه عن وضرب الأمثال في الصفات والأفعال، وظلوا على ذلك حتى ظهرت الفرق الإسلامية الخوارج والشيعة.. ألخ، كل يدعي أنه على صواب ويملك الحق وغيره لا يملك ذلك وظهر علم الكلام وأول من ألف فيه محمد ابن محمد المعروف بابن الحنفية، كما جاء في مقدمة ابن خلدون الشهيرة وظهر المتكلمون عن الصفات وتقييدها بصور (التجسيد) وهذا ليس من الدين في شيء.

ولا شك أن التوحيد الذي نشأ عليه الإسلام أمر فطري تقبله العقول ولا تعارضه المدارك الصحيحة.

ومن هذا يظهر لك أحقية مذهب السلف الصالح المبني على التمسك بالكتاب والسنة عن ضلالات المذاهب الأخرى مثل فكرة خلق القرآن التي يقال إن بشر المريس هو أول

من زرعها في زمن الرشيد، ولهذا يجب على الدعاة أن يلموا بالشبه التي يوردها الخصوم ويردوا عنها بما يزيل الأستار لتظهر الدسيسة التي تحتها.. وهذا ما دعا كثيراً من علماء المتقدمين إلى الاستدلال على التوحيد بالعقل وحث علماء السنة على لزوم معرفة الأدلة التفصيلية وخاصة للدعاة الذين يجب أ، يواجهوا بها الملحدين، وهؤلاء مكلفون بمعرفة الطرق للدفاع عن الحق واتخاذ الوسائل التي تؤثر على عقلية الخصم حتى يثوب إلى رشده، وهذه الدلائل التفصيلية لازمة وكافية لهذا الفريق لقوة الدفاع والرد على ترهات الملاحدة وشبهاتهم.. وخاصة في زمان العولمة وإعلام القرية الكوكبية الواحدة وتبقى العقيدة زاهية نقية، فإنه وإن قيل الاختلاف في الفقه فهو في الاعتقاد مردود ومادام الأمر كذلك فينبغي أن يحتاط [1].

علم أصول الدين المسمى بالكلام، وقال الأرنيقي: هو علم يقترن معه علم إثبات العقائد الدينية بإيراد الحجج عليها ودفع الشبهة عنها، وموضوعه ذات الله تعالى وصفاته.

تعريف العقيدة :

والعقيدة في اللغة : ما اتعقد عليه القلب واستمسك به وتعذر تحويله عن قبوله للإثبات والنفي من غير ترجيح أحدهما.

وفي الاصطلاح : العقيدة من الاعتقاد هوا لإيمان المطابق للواقع الثابت بالدليل.

ومن المعلوم أن جميع الأعمال الصالحة التي يعملها أي إنسان ابتغاء وجه الله تعالى موقوف قبولها عند الله على صحة العقيدة التي يتكلم عنها هذا العلم (علم العقائد)، لأن الانحراف عن العقيدة انحراف عن الإيمان، والانحراف عن الإيمان هو الكفر، والله تعالى لا يقبل من كافر عملاً [2].

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ ﴾ [النساء: ٤٨]. لذلك قال جميع علماء الإسلام أن هذا العلم

(١) انظر: جند الله؛ سعيد حوى، ص ١١١.
(٢) انظر: تبسيط العقائد؛ حسن أيوب ص ٩.

مفروض تعليمه على الرجل والمرأة وعلى كل مسئول من والد ووالدة ومعلم ووصي ومرب وأمثالهم أن يهتموا بتنشئة الأطفال على مبادئه على أن يعطي كل حسب قدرته العقلية النفسية فيتدرج في تعليمه [1].

وبدأ فيتعلم أسماء الله الحسنى؛ فمن أحصاها دخل الجنة، ثم يتعلم صفات الذات العلية المتصفة بالكمالات المنزهة عن النقائص وهي :

١- الوجود	وضده	العدم
٢- القدم	وضده	الحدوث
٣- البقاء	وضده	الفناء
٤- قيامه بنفسه	وضده	احتياجه لغيره
٥- المخالفة للحوادث	وضدها	المشابهة للحوادث
٦- الوحدانية	وضده	التعدد
٧- الإرادة	وضدها	الكراهية
٨- القدرة	وضدها	العجز
٩- الحياة	وضدها	الموت
١٠- العلم	وضده	الجهل
١١- السمع	وضده	الصمم
١٢- البصر	وضده	العمى
١٣- الكلام	وضده	البكم

وقد صنف في علم العقائد والتوحيد الكثير من التصانيف منها المطول ومنها الرسائل المختصرة.. **ترشح منها الكتب الآتية لاطلاع الدعاة :**

- لمعة الاعتقاد لابن قدامة
- عقيدة السلف وأصحاب الحديث لأبي عثمان إسماعيل الصابوني ت ٤٤٩هـ
- العقيدة الواسطية لابن تيمية
- نهاية الإقدام لأبي الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني ت ٥٤٧هـ
- الأسامي للإمام أبي الحسن الأشعري
- شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز وهو شرح لكتاب عقائد الطحاوي لأبي جعفر أحمد بن محمد بن الملك الأزدي

(١) نفس المرجع السابق؛ ص ١٠.

- شرح العقائد النسفية للتفتازاني
- شرح العقائد لمنصور الطبلاوي
- التوحيد لمحمد بن عبد الوهاب
- اعتماد الاعتقاد للشيخ حافظ الدين عبد الله بن أحمد أبو البركات النسفي
- عقيدة المسلم للشيخ محمد الغزالي
- عقيدة المؤمن للشيخ أبي بكر جابر الجزائري
- رسالة التوحيد للشيخ محمد عبده
- الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد للشوكاني
- تلبيس إبليس لابن الجوزي
- الله جل جلاله لسعيد حوى
- تجريد التوحيد المفيد والنبوات لابن تيمية
- الأصول الثلاثة لمحمد بن عبد الوهاب
- الإبانة عن أصول الديانة للشيخ أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري

ومن الكتب المبسطة التي نرشحها في هذا المجال :

- تبسيط العقائد الإسلامية للشيخ حسن أيوب.
- متن الجوهرة في علم التوحيد وعقيدة المؤمنين للدكتور طه عبد السلام خضير.
- ومنهاج المسلم للجزائري.

وذلك بخلاف كتب العقيدة للأساتذة المحاضرين في الجامعات مثل أصول العقيدة الإسلامية للدكتور عبد المقصود عبد الغني.

* * * * *

(د) أصول الفقـه

ولعلم أصول الفقه تعريفان :

أولاً : باعتباره مركباً إضافياً مكون من جزئين : مضاف ومضاف إليه؛ كلمة أصول وكلمة فقه..

والأصل لغوياً ما ينبني عليه غيره.. أو ما يتفرع عليه غيره أو هو منشأ الشيء.

أما في الاصطلاح فيطلق على الدليل ومنه أصول الفقه أي أدلته الشرعية الكلية من حيث أنها كيف تستنبط منها الأحكام الشرعية.

أما معنى كلمة (فقه لغوياً) أي الفهم مطلقاً، وقيل دقة الفهم والفطنة والفهم والعلم بالشيء، وقيل هو الشق والفتح.

واصطلاحاً فقد عرفه البيضاوي فقال : هو العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسبة من أدلتها التفصيلية.

عرفه الشيرازي وإمام الحرمين بأنه **معرفة الأحكام الشرعية التي طريقها الاجتـــهاد** [1].

ثانياً : باعتباره علم وفن كما عرفه البيضاوي بأنه " معرفة دلائل الفقه إجمالاً وكيفية الاستفادة منها وهو حال المستفيد ".. ويعرفه ابن الحاجب بأنه : العلم بالقواعد التي يتصل بها إلى استنباط الأحكام الشرعية من أدلتها التفصيلية بالنظر والاجتهاد في الأدلة..

ولا خلاف بين علماء الأصول حول الكتاب (القرآن) باعتباره المصدر الأول للتشريع الإسلامي.. يليه السنة.

أهمية هذا العلم للداعية :

ولابد للداعية من دراسة هذا العلم ليعرف مصادر الأمور ومرادها ويضع كل شيء

---

(١) انظر: دراسة أصولية في المقدمات والحكم الشرعي؛ للدكتور عبد الحي عزب عبد العال ص ٣ - ١٥، وانظر التعريفات للجرجاني والمفردات للراغب الأصفهاني ص ٢٨٤.

في محله ويلم بالقدر المطلوب فيمكنه من فهم الكتاب والسنة ومواقع الإجماع حتى لا تكون فتواه مخالفة للإجماع.. فإن هذا العلم هو ميزان الفقه ليضبط الفقيه ويمنعه من الخطأ في الاستنباط، وبيه يتبين الاستنباط الصحيح من الاستنباط الخاطئ.

فالظاهرية يقصرون المصادر على ثلاثة : الكتاب والسنة والإجماع، والشافعية يزيدون القياس والاستصحاب، والحنفية يضيفون لتلك الخمسة : الاستحسان والعرف، أما الحنابلة فيضيفون المصالح وسد الذرائع، والمالكية تتعدد لديهم الأدلة فتصل إلى ثلاثة عشرة هي بالترتيب : القرآن - السنة - الإجماع - عمل أهل المدينة - القياس - الاستحسان - المصالح وسد الذرائع - العرف والاستصحاب..

المهم أن يصل الداعية إلى الدليل.

وكتب هذا العلم كثيرة منها القديم والحديث..

فمن الكتب القديمة :

- إرشاد الفحول للشوكاني
- وجمع الجموع والرسالة للشافعي
- المستصفى والمنخول للغزالي وهو شافعي
- ونوادر الأصول للحكيم الترمذي
- الأحكام في أصول الأحكام للآمدي
- وشرح الكوكب المنير للفتوحي
- منتهى السول في علم الأصول للآمدي
- أصول الميزدوي وهو من الحنفية
- والموصول في علم الرازي
- تقريب الوصول إلى علم الأصول لابن جزي
- والبحر المحيط للزركشي.

ومن الكتب الحديثة :

- كتاب الشيخ أبو زهرة في أصول الفقه
- كتاب الشيخ عبد الوهاب خلاف
- كتاب سلام مدكور
- كتاب الخضري
- كتاب زكريا البرديسي
- المختصر في الأصول للشيخ ابن عثيمين
- الأصول لزكي شعبان
- أصول الفقه للمبتدئين للأشقر

ومن الكتب في تخريج الفروع على الأصول :

- كتاب شهاب الدين محمود الزنجاني
- مفتاح الوصول لأبي عبد الله محمد بن أحمد التلمساني
- التمهيد في تخريج الفروع على الأصول للأسنودي
- القواعد والفوائد الأصولة للبعلي
- تأسيس النظر لعبيد الله بن عمر الدبوسي

ومن المناسب أن يقرأ الداعية كتاباً في أصول الفقه (فقه مذهبه) ويطلع أيضاً على بعض الأصول لغير مذهبه.

* * * * *

(هـ) علم الفقه الإسلامي

إن الفقه الإسلامي جزء من الشريعة التي جاءت لخير الإنسان وسعادته في معاشه الدنيوي ومعاده الأخروي، وقد مر الفقه الإسلامي بأربعة أدوار.

١- دور النشأة : ويشمل عصر النبوة وانحصرت مصادره في القرآن (٢٠٠-٥٠٠ آية) رداً على التساؤلات (يسألونك أو يستفتونك)، وفي السنة التي تتميز بالتدرج في التشريع، وقد جوز الرسول لمعاذ الاجتهاد وكان للسنة الدور الرئيسي في بيان ما أجل وتقييد ما أطلق وتخصص ما ورد عاماً بالقرآن وغاية هذا الدور ١١هـ.

٢- دور التأسيس : وتبدأ بوفاة الرسول وينتهي بسقوط الدولة الأموية (١٣٢ هـ) ويشمل عصر الخلفاء وفقه الصحابة والتابعين وتابعي التابعين ويتميز بنشأة مدرستي أهل الحديث وأهل الرأي بالمدينة في عهد عثمان بن عفان.

٣- دور النضـــج والكمـــال : وبدأ بقيام الدولة العباسية وينتهي بقفل باب الاجتهاد في أواخر القرن الرابع الهجري ويمثل العصر الذهبي وظهور المذاهب الإسلامية الكبرى.

٤- دور التقليد والجمود والتعصب المذهبي : ويبدأ بقفل باب الاجتهاد وينتهي بإلغاء الخلافة العثمانية (١٩٢٤م).

وقد ذهب جمهور العلماء أنه لا يجب عن المقلد التمذهب بمذهب معين بحيث لا يجوز له الخروج عنه، بل أن يعمل في مسألة بقول أبي حنيفة وفي أخرى بقول مالك أو الشافعي وابن حنبل، واختار هذا الأمدي وابن الحاجب والكمال بن همام والرافعي وغيرهم [١] ونادى الشوكاني بالتفقه بعيداً عن هذه المذاهب الأربعة.

يقول سعيد حوى [٢] والواقع أن المذاهب الأربعة التي استقرت عليها الأمة جمعت عشرات المذاهب الأخرى، فهي تمثل أقصى صورة من صور التجميع

(١) المرجع السابق؛ ص ١٦٠.
(٢) جند الله؛ سعيد حوى، ص ١٢٢.

والتوحيد.. ثم هي فيما بينها متفقة على حوالي ٧٠٪ من المسائل وكثير من المسائل الاختلافية كان الخلاف في هل هي سنة أو فريضة أو بينها.. وهكذا فإننا ضد التعصب المذهبي.

ومن هنا فإنا نوصي الداعية أن يقرأ ويحفظ متناً في الفقه مع شرحه على مذهب معتمد مثل : متن بداية المبتدي للقدوري في مذهب الحنفية، أو العمدة أو متن الإقناع في المذهب الحنبلي لابن قدامة، أو المنهاج في الفقه، أو متن أبي شجاع في الفقه الشافعي، وكتاب تحفة الفقهاء للسمرقندي..

إذ لا مانع من دراسة الفقه على مذهب معين في بداية التحصيل العلمي ثم يتوسع فيقرأ أمثال كتاب (معاني الآثار) وكتاب الزيلعي وفتح القدير في مذهب الحنفية أو كتاب المجموع للنووي في مذهب الشافعية، والمقنع لابن قدامه، أو المهذب للشيرازي، ليحكي اختلاف الفقهاء في المذهب..

ثم ينتقل بعد ذلك إلى دراسة الكتب التي تبين أدلة الآراء المختلفة في المذهب : كالكافي لابن قدامة في المذهب الحنبلي معاً.. ثم ينتقل بعد ذلك إلى دراسة الكتب التي تحكي مذاهب السلف والمدارس الفقهية المشهورة وتذكر أدلتهم وما دار بينهم من مناظرات ومحاورات كالمغني لابن قدامة، ومؤلفات ابن المنذر والمحلي لابن حزم وابن تيمية وغير ذلك من مؤلفات أهل الإنصاف الذين لا يتعصبون لمذهب من المذاهب ولا يقصدون إلا الحق وتبني الصواب.. وقد قيل "من لم يعرف اختلاف الفقهاء فليس بالفقيه"، كما قيل "من حفظ المتون حاز الفنون" [1].

ولو أن بعض المعاصرين دراسة الاختلافات الفقهية واعتبرها من الأمور التي تطمس معالم الدين الحق [2] والحقيقة أن اختلاف الفقهاء سعة في الشريعة ومرونة في الفقه وثروة فكرية وتشريعية؛ إذ هي وجهات نظر مختلفة ناشئة

(١) انظر: تكوين الملكة الفقهية؛ د. محمد عثمان شبير، ص ١٣٣ وما بعدها.
(٢) انظر: خطيئة المذاهب للدكتور محمد طلبه زايد، ص ٢٠.

عن اجتهاد في النصوص الظنية، وقد أجمع العلماء على جواز الجدال في الفقه والتناظر فيه، لأنه يحتاج إلى رد الفروع إلى الأصول وتصحيح الأدلة.. أما الجدال في العقيدة فلا يجوز لأنه يؤول إلى الانسلاخ عن الدين.

ومن كتب الفقه الإسلامي :

في الفقه الحنفي :

- بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع؛ لعلاء الدين أبي بكر مسعود الكاساني، ت ٥٨٧هـ.
- تبيين الحقائق شرح كنز الدقاق لفخر الدين عثمان بن علي الزيلعي، ت ٧٤٣هـ بهامشه البحر الرائق وبهامشه حاشية شهاب الدين أحمد الشبلي.
- رد المحتار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار وهوا لمعروف بحاشية ابن عابدين.
- شرح فتح القدير لكمال الدين بن الهمام ت٦٨١هـ مع تكملته نتائج الأفكار في كشف الرموز والأسرار لقاضي زادة ت٩٨٨هـ على الهداية شرح بداية المبتدي تأليف المرغناني ت٥٩٣هـ وبهامشه شرح العناية على الهداية والعناية للبابرتي ت٧٨٦هـ، وحاشية سعدي جلبي ت٩٤٥هـ.
- المبسوط؛ لشمس الدين السرخسي.
- الدر الحكام في شرح غرر الأحكام؛ لمحمد بن فراموز الشهير بمنلا خسروت٨٨٥ هـ، وبهامشه حاشية العلامة أبي الخلاص حسن بن عماد بن علي الوفائي الشرنبلالي ت ١٠٦٩هـ.
- الخراج للإمام أبي يوسف وبهامشه الكتاب الممى بالجامع الصغير في الفقه للإمام ابن الحسن الشيباني، وشرح السيد الكبير؛ لمحمد بن الحسن الشيباني ت١٨٩هـ.

في الفقه المالكي :

- المدونة الكبرى لمالك بن أنس الأصبحي ت١٧٩هـ رواية سحنون.
- الملتقى شرح الموطأ؛ أبو الوليد سليمان بن خلف الباجي الأندلسي ت٤٩٤هـ.
- المقدمات الممهدات لبيان ما اقتضته رسوم المدونة من الأحكام الشرعية، لمحمد بن أحمد بن رشد ت ٥٢٥ هـ.
- بداية المجتهد ونهاية المقتصد لابن رشد المشهور بالحفيد وبفليسوف قرطبة ت ٥٩٥هـ.
- مواهب الخليل شرح مختصر خليل لمحمد بن عبد الرحمن الخطاب ت٩٥٤هـ.
- شرح منح الجليل على مختصر خليل محمد عليش ت١٢٩٩هـ.
- الفروق؛ أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن القرافي ٦٨٤هـ.
- إدرار الشروق على أنواء الفروق؛ سراج الدين الشاط بأسفل كتال الفروق.
- تهذيب الفروق والقواعد السنية في الأسرار الفقهية للشيخ محمد علي حسن مفتي المالكية بمكة شرح الزرقاني : على مختصر خليل، وبهامشه حاشية النباتي.
- شرح الخراشي على مختصر خليل؛ أبو عبد الله محمد بن عبد الله الخرشي ت ١١٠هـ.
- تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام لابن فرحون ت٧٩٩هـ.
- حاشية الدسوقي على الشرح الكبير؛ محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي، ت١٢٣٠هـ.
- بلغة السالك لأقرب المسالك؛ أحمد بن الصاوي ١٢٤١هـ، حاشية على الشرح الصغير للدردير.
- العقد المنظم للحكام فيما يجري في أيديهم من العقود والأحكام؛ أبو محمد عبد الله بن سلمون الكناني مطبوع بهامش كتاب تبصرة الحكام.

- الذخيرة؛ للعلامة شهاب الدين أحمد بن إدريس المعروف بالقرافي، ت٦٨٤هـ.

في الفقه الشافعي :

- الأم؛ أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي، ت٢٠٤هـ، وكذلك له الرسالة.
- مختصر المزني، أبو إبراهيم إسماعيل بن يحيى المزني ت ٢٦٤هـ.
- المهذب؛ إبراهيم علي بن يوسف الشيرازي، ت٤٧٦هـ.
- الوجيز في فقه مذهب الإمام الشافعي؛ أبو حامد الغزالي، ٥٠٥ هـ.
- قواعد الأحكام في مصالح الأنام؛ عز الدين عبد السلام؛ ت ٦٦٠هـ. المجموع شرح المهذب؛ أبو زكريا محي الدين بن شرف النووي، ت٦٧٦هـ.
- شرح منهاج الطالبين؛ جلال الدين المحلي.
- مغني المحتاج إلى شرح المنهاج؛ شمس الدين محمد بن أحمد الشربيني، ت٩٧٧هـ.
- نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج؛ شمس الدين محمد بن أبي العباس الرملي، ت ١٠٠٤ هـ وبهامشه الرشيدي.
- حاشية البجيرمي على شرح المنهاج للبجيرمي ت١٢٢١ هـ.
- حاشية على تحفة الطلاب؛ عبد الله حجازي بن إبراهيم الشرقاوي الأزهري، ت١٢٢٧هـ.
- إعانة الطالبين حاشية فتح المعين؛ أبو بكر الدمياطي.
- الأحكام السلطانية؛ للماوردي، ت ٤٥٠هـ.
- حاشية البجوري على شرح ابن قاسم الغزي.

في الفقه الحنبلي :

- المغني؛ أبو محمد عبد الله بن أحمد بن قدامه، ٦٢٠هـ، على مختصر الخرقي

٣٣٤هـ.

- الفتاوى الكبرى؛ شيخ الإسلام أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم المشهور بابن تيمية؛ ت٧٢٨هـ.
- إعلام الموقعين عن رب العالمين؛ أبو عبد الله محمد أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية، ت٧٥١هـ.
- كشف القناع على متن الإقناع؛ منصور بن يونس البهوتي؛ ت١٠٥٠هـ.
- السياسة الشرعية في إصلاح الدعي والدعية لابن تيمية.
- الأحكام السلطانية؛ للقاضي أبي يعلي محمد بن حسين الفراء، ت ٤٥٨هـ.
- الطرق الحكمية في السياسة الشرعية؛ لابن القيم الجوزية.

في الفقه الظاهري :

- المحلى؛ لابن محمد بن حزم، ت٤٥٦هـ.

* * * * *

الثقافة التاريخية بدراسة السيرة النبوية.. والتاريخ الإسلامي

السيرة النبوية من المصادر الهامة للداعية، لذلك كان من المتعين عليه أن يعني عناية كاملة بالتعرف الكامل على وقائعها وأحداثها، لأنها حياة كاملة للنبي ﷺ الأسوة والقدوة والمثل الأعلى لكل مسلم في كل مناحي الحياة: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [الأحزاب: ٢١].

فهي الترجمة الصادقة لحياته ومعاملته لزوجاته وأصحابه في سفره ومقامه وفي حربه وفي سلمه.. والسيرة هي السنة العملية.

كما أن السيرة تعين على فهم كثير من آيات القرآن الكريم، فلقد كان القرآن موجهاً للنبي ﷺ ومسدداً له في كثير من تصرفاته الأسرة وغير الأسرية.. كما أن فيها الكثير من قصص الأنبياء التي تستهوي المستمع وتملك لبه.. قال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ [يوسف: ١١١].

كما أن في دراسة السيرة تثبيت للإيمان، وقد خاطب الله سبحانه وتعالى رسوله: ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ ﴾ [هود: ١٢٠]. فإذا كانت سير الأنبياء تفعل ذلك فكيف بحاجتنا إلى سيرة سيد المرسلين.

إن الإيمان يقتضي محبة رسول الله وكمال متابعته: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ [آل عمران: ٣١] وهذا بالضرورة يستلزم أحواله من شمائل ومغاز وسير.

كما أن السيرة النبوية هي سنة نبوية تؤخذ منها الأحكام التشريعية والآداب النفسية والتعاملية مما يستلزم دراستها ودراسة تاريخ الخلفاء الراشدين وأهم أعمالهم وحياة كبار الصحابة الذين رباهم فأحسن تربيتهم ومن التاريخ نأخذ العبرة والعظة..

أما علم التاريخ:

وموضوعه أحوال الأشخاص الماضية من الأنبياء والأولياء والعلماء والحكماء والملوك والقراء وغيرهم ورسولهم وعاداتهم وصنائع أشخاصهم وأنسابهم ووفياتهم إلى غير ذلك.

والغرض منه الوقوف على الأحوال الماضية، وفائدته العبرة بتلك الأحوال والتنصح بها وحصول ملكات التجارب.

وعموماً فقراءة التاريخ العام للأمة الإسلامية من أهم عوامل تكوين الشخصية، ومن أهم عوامل شعور الأمة بذاتها وشعور الفرد بالفخر بالانتماء والولاء لله ثم رموزها، فالتاريخ هو ذاكرة الأمة وسجل أحداثها، كما أن التاريخ كثيراً ما يعين على فهم الواقع الماثل وخاصة إذا تماثلت الظروف وتشابهت الدوافع، فما أشبه اليوم بالبارحة.

ولتحقيق هذه الجوانب كلها نقترح قراءة ما يلي :

- السيرة النبوية لابن هشام.
- السيرة النبوية لابن كثير.
- الروض الآنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام لأبي القاسم السهيلي.
- الرحيق المختوم؛ لصفى الدين عبد الرحمن المباركفوري.
- أسد الغابة في معرفة الصحابة؛ علي بن أبي الكرام بن الأثير.
- الإصابة في تمييز الصحابة؛ لابن حجر العسقلاني.
- حياة الصحابة؛ للشيخ محمد يوسف الكاندهلوي
- أنساب الأشراف للبلاذري
- الأنساب؛ أبو سعيد عبد الكريم محمد السمعاني
- نور اليقين؛ للخضري
- السيرة النبوية؛ سعيد حوى
- منهاج السيرة النبوية؛ لابن تيمية.
- أعلام النبوة؛ للماوردي
- بدائع السالك في طبائع الممالك؛ أبو عبد الله بن الأزرق

- البداية والنهاية؛ لابن كثير
- المغازي للواقدي المتوفى ٢٠٨ هـ.
- الكامل في التاريخ؛ لابن الأثير
- القول المبين في سيرة المرسلين؛ د. محمد الطيب النجار
- طبقات ابن سعد الكبرى؛ محمد بن سعد الزهري
- تاريخ ابن خلكان.
- تاريخ الخطيب البغدادى: عشر مجلدات
- تاريخ الحافظ ابن حجر العسقلانى: مجلدان
- تاريخ الحافظ ابن عساكر: ٥٧ مجلدًا
- بلوغ الإرب في معرفة أحوال العرب؛ محمد شكري الألوسي
- تأملات في سيرة الرسول ﷺ؛ د. محمد السيد الوكيل
- تاريخ الإسلام للذهبي، وصنف التاريخ الكبير ثم الأوسط المسمى بالعبر، والصغير المسمى دول الإسلام.
- تاريخ الطبري لأبي جعفر محمد بن جرير
- تنظيمات الرسول الإدارة في المدينة؛ صالح أحمد العلي
- التمكين للأمة الإسلامية في ضوء القرآن الكريم؛ محمد السيد أحمد يوسف
- جوامع السير؛ لابن حزم، ت ٤٥٦
- حديث القرآن في غزوات الرسول ﷺ؛ د. محمد بكر آل عابد
- حقوق النبي ﷺ على أمته؛ د. محمد بن خليفة التيمي
- الحكومة الإسلامية؛ أبو الأعلى المودودي
- خاتم النبيين ﷺ؛ للشيخ محمد أبو زهره

- دراسات في السيرة النبوية؛ د. عماد الدين خليل
- الدرر في اختصار المغازي والسير؛ يوسف بن عبد البر
- دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة؛ للحابظ أبي بكر أحمد البيهقي
- سفراء الرسول؛ محمد شيت خطاب
- الرسول القائد؛ محمد شيت خطاب
- سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد؛ محمد بن يوسف الصالحي
- سير أعلام النبلاء؛ للذهبي
- السيرة النبوية؛ للذهبي
- السير والمغازي؛ ابن إسحاق
- السيرة النبوية الصحيحة؛ د. أكرم العمري
- تحفة الظرفاء في تاريخ الخلفاء لجلال الدين السيوطي
- السيرة النبوية : دروس وعبر؛ د. مصطفى السباعي
- السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون؛ علي بن برهان الدين الحلبي
- السيرة النبوية؛ محمد السوباني
- السيرة النبوية : عرض دقيق وتحليل أحداث؛ علي محمد الصلابي
- صحيح السيرة النبوية؛ للطرهوني - محمد رزق
- صحيح السيرة النبوية؛ إبراهيم العليّ
- الصراع مع الصليبيين؛ لأبي فارس
- الصراع مع اليهود؛ لأبي فارس
- صلح الحديبية؛ محمد أحمد باشميل
- غزوة أحد؛ أحمد عز الدين

- غزوة أحد : دراسة دعوية؛ محمد بن مدجج
- فقه السيرة؛ للغزالي
- مجموعة الوثائق السياسية؛ محمد حميد الله
- معجم البلدان؛ ياقوت الحموي
- هذا الحبيب محمد ﷺ يا محب؛ لأبي بكر الجزائري
- واقعنا المعاصر؛ محمد قطب
- وقفات تربوية مع السيرة النبوية؛ أحمد فريد

* * * * *

مصادر الثقافة التحسينية

الثقافــة الأدبيــة.. واللغويــة

إن المرء لا يستطيع أن يفهم كتاب الله وسنة رسوله بغير التمكن من اللغة العربية وعلومها؛ فاللغة بمفرداتها ونحوها وصرفها لازمة لسلامة اللسان وصحة الأداء، فضلاً عن أثرها في السامع بل صحة الفهم أيضاً، فالأخطاء اللغوية إن لم تحرف المعنى وتشوه المراد يمجها الطبع وينفر منها السمع [1].

وقديماً قالوا : النحو للكلام كالملح للطعام لتحسينه للمذاق بالإضافة لفائدته في تقويم اللسان.

ومن أهم الوقائع والأسباب في وضع هذا العلم نذكر الآتي [2] :

أ – ما أورده ابن قتيبة في كتابه (عيون الأخبار) قائلاً : سمع أعرابي مؤذناً يقول : أشهد أن محمداً رسول الله (بنصب رسول).. فقال : ويحه يفعل ماذا ؟

ب– ورُويَ أن علياً - رضي الله عنه - سمع أعرابياً يقرأ (لا يأكله إلا الخاطئين) فوضع النحو.

ج– ورُويَ أن أبا الأسود الدؤلي قالت له ابنته : ما أحسنُ السماء، فقال : نجومها قالت : إني لم أرد هذا وإنما تعجبت من حسنها فقالت لها : إذن قولي : ما أحسن السماء.. فحينئذ وضع النحو وكان أول من رسم التعجب.. وقيل : إنما وضعه بتوجيه من الإمام عليّ كرم الله وجهه.

ويتميز النحو بظاهرتي : الإعراب؛ وهو تغيير الكلمات لفظاً أو تقديراً.. والبناء؛ وهو لزوم آخر الكلمة حالة واحدة لفظاً وتقديراً..

وذكر النحاة : أن الإعراب أصل في الأسماء فرع في الأفعال والبناء أصل في الأفعال فرع في الأسماء، أما الحروف فهي مبنية على الأصل فيها ولا يتطرق إليها الإعراب لا أصلاً ولا فرعاً.

---

(١) انظر: ثقافة الداعية؛ للقرضاوي، ص ٩٨.

(٢) اللغة العربية بين الفصحى والعامية؛ خالد مفلح عيسى ، ص ٢٣ وما بعدها.

تلك هي اللغة العربية التي خطب بها الخطباء وشعر بها الشعراء ونزل بها القرآن الكريم.

فينبغي للداعية معرفة علوم اللسان العربي من نحو وصرف وبيان وأدب ليتمكن من فهم نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية حق الفهم ومعرفة مقاصد الكتاب والسنة ومعانيهما.. وهي من أهم أسس الثقافة الإسلامية.

يقول ابن تيمية : " **إن تعلم اللغة العربية من الدين وأنه فرض واجب لفهم مقاصد الكتاب والسنة ومراد الشارع من خطابة وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب** " (١).

وقال ابن خلدون : " ومعرفتها ضرورية على أهل الشريعة " (٢).

وينبغي للداعية أن يشرع بدراسة متن من متون النحو كالألفية لابن مالك وشروحها، أو قطر الندى أو شرح ابن عقيل وشرحه.. ثم ينتقل إلى كافية ابن الحاجب وشروحها ومغني اللبيب وشروحه، حتى تحصل له الملكة في النحو.. وينبغي أن يطلع على مختصر من مختصرات المنطق ليفهم ما يورده مصنفو النحو، ثم ينتقل إلى دراسة الصرف فيحفظ الشامية وشروحها ولامية الأفعال.. ثم بعد ذلك ينتقل إلى دراسة كتب المعاني والبيان والبلاغة ويا حبذا أن يحفظ متناً من المتون وشرحه.. ثم بعد ذلك يطلع على مؤلفات اللغة المشتملة على بيان المفردات كالمصباح المنير والقاموس المحيط ولسان العرب وصحيح الأزهري.. الخ.

قال الشوكاني : " وأن يثبت له من كل فن : النحو والصرف والمعاني والبيان من هذه ملكة يستحضر بها كل ما يحتاج إليه عند وروده عليه والنظر في الدليل نظراً صحيحاً ".

كما أن القراءة في كتب الأدب والاقتباس منها ويختار ما يناسب كل مستمع فيعطي كلاً حسب قدرته، فيخاطب العامة بالأسلوب السهل البسيط الذي يجد مدخلاً إلى قولهم ومداركهم.

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم؛ ابن تيمية، ص ٢٠٧.

(٢) مقدمة ابن خلدون؛ ص ٥٠١.

ويخاطب أهل المدارك العالية ما يناسبهم من الأسلوب عملاً بقول الرسول ﷺ : «أمرت أن أخاطب الناس على قدر عقولهم». وفي المثل يقولون : " لكل مقام مقال ".

ومن المهم أن يحفظ الداعية الكثير من الأشعار الدينية وخاصة شعر الرقائق والمواعظ الذي يحث على الفضيلة ويدعو إليها وينفر من الرذيلة ويحذر منها...

ويأخذ الشعر أهميته في نفس الداعية بما له من نظم مؤثر وسهولة من الحفظ والاستيعاب تستميل المستمع بقدر ما تصوغ الحكم والأمثال في قوالب جذابة ومركزة تبقى في الذاكرة زبداً، ومن ثم يستمر تأثيرها : إن الكلام إذا حول نظماً : فرح الحزين.. وحرك الرزين.. وقرب من الأمل البعيد [1]..

والشعر جمال كله بإمكانياته، وقد جاء في الحديث: «إن من البيان سحراً وإن من الشعر حكماً» رواه أحمد وأبو داود وقالت عائشة رضي الله عنها " روماً أولادكم الشعر تعذب ألسنتهم " وكان ابن عباس وعائشة من أروى الناس للشعر.

* * * * *

(١) انظر: تكوين الخطيب الرشيد؛ د. محمد عبد المعطي، ص ٧٣.

الثقافة العلمية (الكونية)

في عصر تتعاظم فيه قيمة العلم ويوصف بأنه عصر العلم، يعد العلم مدخلاً للإيمان كعلوم الفيزياء والأحياء والكيمياء والجيولوجيا والفلك والتشريح؛ تلك العلوم التي تعتمد على الملاحظة والتجربة وتخضع للقياس والاختبار.

وإذا كنا هنا نؤكد على أهمية الثقافة العلمية وخاصة للداعية فلا نطلب منه الغوص في أعماقها والوصول إلى دقائقها وغير مطلوب منه أن يتخصص فيها، لكن المطلوب منه أن يعرف عن كل شيء شيئاً أي معرفة تزيل الجهالة عن جوانب العلم التي تعرف عند علمائها بسنن الله الكونية " ولا يحمل بالداعية أن يعيش في دنيا يسيرها العلم ويدير رجالها ولا يدرك الأوليات والأساسيات لهذا العلم " [1].

وعليه أن يدرك مخاطر نظرية النشوء والارتقاء لداروين التي تقف تشكيكاً في الآية: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ [التين: ٤]، أو الاستنساخ.. الخ.

وليس هذا كل ما في العلم.. فمن الحقائق العلمية ما يمكن للداعية استخدامه في تأييد الدين وتوضيح مفاهيمه ونصرة قضاياه ودفع شبهات خصومه مثل بدايات الخلق ونشأة الكون وانتهاؤه والبعث والجزاء والرد على حجج وأباطيل المنكرين والملحدين والمشركين والإيمان بأن للكون إلهاً واحداً خالقاً مبدعاً قادراً على كل شيء.

ويشرح عبد الله ناصح علوان الجوانب الأساسية التي يمكن حصادها من ذلك في ثقافة الداعية : فعن طريق العلم يستطيع أن يؤيد كثيراً من الأحكام الشرعية ببيان ما اشتملت عليه من جلب المصالح كتحريم شرب الخمر وأكل لحم الخنزير واللواط والزنا والمخدرات..

وهناك مجال يدخل العلم ويصول ويجول فيه وهو بيان سبق القرآن والسنة لكثير من الحقائق التي كشف عنها العلم الحديث مؤخراً، وهو ما يعرف بالإعجاز العلمي فهو مدخل لهداية غير المسلمين وطريق لتثبيت المتشككين، أما ما يدخل في سياق التوافق الدقيق ما جاءت به نصوص الكتاب والسنة، فليس هذا من الإعجاز العلمي في الحقيقة وإنما أطلق

(١) ثقافة الداعية؛ ص ١١٣.

عليه العلماء التفسير العلمي وليس الإعجاز العلمي [1]، ويمكن بهذا وتلك تصحيح المفاهيم الخاطئة لدى البعض مثل أن النحل إنما يتقيأ العسل إذا علمنا أن للنحل معدتان واحدة للطعام والأخر لفرز العسل، ومثل اعتقاد البعض أن حديث الذباب ليس صحيحاً، وقد أثبت العلم صحته وقد بينا ذلك في مؤلفنا (الإعجاز العلمي في السيرة النبوية) ص ٤٢ وما بعدها.

إن الداعية الذي يحسن استخدام حقائق العلم في المجالات التي ذكرناها يجد طريقه إلى أهان الناس وعواطفهم سهلاً معبداً ويقع كلامه في نفس المثقفين العصريين موقع القبول وحسن التأثير [2].

ونحن نوصي الداعية بالاطلاع على بعض الكتب التالية والتي تربط بين العلم والإيمان مثل :

١- كتب الكاتب الإسلامي عبد الرزاق نوفل ومنها القرآن والعلم الحديث - الله والعلم والعلم الحديث - المسلمون والعلم وغيرها.

٢- كتب الدكتور جمال الفندي ومعظمها طبع بمعرفة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ومنها العلم والإيمان ولماذا أنا مؤمن ؟

٣- كتب د. مصطفى محمود مثل القرآن محاولة للفهم العصري والدكتور منصور حسب النبي مثل القرآن الكريم والعلم الحديث ووحيد خان مثل الإسلام في عصر العلم.. والإسلام يتحدى - والدكتور كارم غنيم وله العديد من الكتب والمقالات في الإعجاز العلمي في مجلات منبر الإسلام ومنار الإسلام والمجاهد ومقالات د.أحمد فؤاد باشا في مجلة الأزهر - وللعالم التونسي محمد الطاهر عاشور تفسير أحسبه علمياً هو التحرير والتنوير.. وكذلك بديع الزمان النورسي، وقد أعد د. كارم غنيم نبتا بأهم كتب الإعجاز العلمي يمكن الرجوع إليها في كتابه الإعجاز العلمي في القرآن والسنة من ص ٢٧٤ إلى ص ٣٤١.

* * * * *

(١) ثقافة الداعية لعلوان الإعجاز العلمي في السنة للمؤلف، ص ٣١.
(٢) ثقافة الداعية؛ للقرضاوي، ص ١١٨.

الثقافة الواقعية

يقول د. القرضاوي :

ومن أهم ما يلزم الداعية التسلح بألوان من الثقافة ما سميناه بالثقافة الواقعية ونعني بها الثقافة المستمدة من واقع الحياة المعاصرة وما يدور به الفلك في دنيا الناس الآن [1] وأهم مشكلاتهم من حوله وفي داخل العالم الإسلامي وفي خارجه من الصحف والمجلات الدورية السيارة والمطبوعات الجديدة مما يجعل الداعية متصلاً بالناس مسايراً لركب الثقافة ملاحقاً للتطور الفكري والحضاري، فإذا أغلق الداعية عقله عنها واكتفى بما تعلمه وحفظه من الثقافة الإسلامية فإنه يقف عند حد معين وسقف بسيط من الثقافة والفكر، بل المهم أن يكمل ثقافته بما سُميّ بالثقافة الواقعية.

إن الداعية لا ينجح في دعوته ما لم يعرف من يدعوهم؟.. حتى يعرف كيف يدعوهم وماذا يقدم معهم وماذا يؤخر؟.. ويعرف واقع العالم الإسلامي والجغرافية والاقتصادية والسياسية وأسباب تخلفه وعوامل ضعفه وأسرار القوة فيه وإمكانات تكامله اقتصادياً ومشكلات أقلياته وأماكن انتشارها واقع القوى المعادية للإسلامية من يهودية وصليبية وماسونية وشيوعية وعلمانية ومادية ووجودية وواقع الأديان المعاصرة وواقع المذاهب السياسية المعاصرة [2].

وواقع مؤسسات الدعوة الإسلامية وواقع التيارات الفكرية المعارضة للإسلام والمناهضة له من غزو ثقافي فكري أجنبي وإرساليات التبشير والتنصير ومؤسسات الاستشراق ونزعات الاستغراب ومخططات إحياء الدعوات الهدامة كالقاديانية والبهائية.. وكيف نشأت الفرق في الإسلام.

ولا ينسى الداعية واقع البيئة المحلية المحيطة ولو من مصادره الحية المباشرة بلقاء الناس ومخالطتهم والاتصال بهم ومشاهدة أحوالهم والاستماع إلى أحاديثهم في السفر والحضر ومعايشتهم..

قال عليه الصلاة والسلام : «من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم».. رواه البيهقي.

---

(١) نفس المرجع؛ ص ١١٩.

(٢) تجديد الخطاب الديني والتيارات الثقافة المعاصرة للمؤلف، ص ٩٢ وما بعدها.

ومن أهم كتب الفرق :

- الفصل في الملل والنحل لابن حزم، والملل والنحل والعواصم من القواصم لابن العربي.
- الفرق من الفرق للبغدادي.
- آراء الخوارج للطالبي، فرق الشيعة للنوبختي.
- تاريخ المذاهب الإسلامية؛ الشيخ أبو زهرة.
- الأديان والفرق المعاصرة
- الإسلام والاستشراق؛ الدكتور محمود حمدي زقزوق
- الإسلام في مواجهة الاستشراق العالمي؛ الدكتور عبد العظيم المطعني
- فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام؛ الدكتور غالب بن علي عواجي
- فكر الخوارج والشيعة في ميزان أهل السنة والجماعة؛ د. محمد علي الصلابي
- الصحوة الإسلامية بين الجمود والتطرف؛ د. يوسف القرضاوي كتاب الأمة.
- اعتقادات فرق المسلمين والمشركين؛ فخر الدين الرازي
- هموم الأمة الإسلامية؛ د. محمود حمدي زقزوق، مكتبة الأسرة
- تيارات حضارية في التاريخ الإسلامي؛ د. عبد الحليم عويس
- الإسلام والغرب؛ د. زقزوق من مطبوعات المجلس الأعلى للشئون الإسلامية
- الإسلام وقضايا العصر؛ د. زقزوق
- الإسلام في مواجهة حملات التشكيك لمجموعة من الأساتذة، وزارة الأوقاف
- الفكر الإسلامي المعاصر؛ د. محمد البهي
- الإسلام والأوضاع الاقتصادية؛ للشيخ محمد الغزالي
- اشتراكية الإسلام؛ د. مصطفى السباعي
- التمكين للأمة الإسلامية في ضوء القرآن؛ محمد السيد حمد يوسف

* * * * *

الثقافة الإنسانية للداعية

ونعني بالثقافة الإنسانية ما يحتاجه الداعي من علوم النفس والاجتماع والاقتصاد والفلسفة والأخلاق والتاريخ، فموضوعها هو الإنسان في الماضي والحاضر، فرداً وفي جماعة أو مجتمع منتجاً أو مستهلكاً.. أي باختيار الإنسان حيث كان وكيف يكون؟.. والإنسان هو نفسه موضوع الدعوة الإسلامية باعتباره محلاً للعناية والتزكية.

كما أن الإلمام بهذه العلوم يعين على فهم الناس، مع العلم أن هذه العلوم لها سموم ورشحات ضارة كنظرية فرويد للتحليل النفسي [1]..

وقد قيل : عرفت الشر لا للشر لكن لاستبداله بعمل الخير.

[1] علم النفس الدعوي :

ومن أهداف دراسته للداعية [2] :

- الاعتبار والعظة بالتفكر في الإنسان وعظيم خلقه ودقة صنعه.
- فهم الإنسان والتعرف على طبيعة تكوينه وطبيعة السلوك الإنساني ودوافعه مما يعين الداعية على نفسية من يدعوه.
- الحكم على السلوك من حيث الصحة وعدمها والسواء والشذوذ والفطرة والاكتساب والضرورة والتحسين.
- تيسير الدعوة إلى الله بالوصول إلى الطرق والأساليب المناسبة لدعوة النفس البشرية وهدايتها واكتشاف العوامل والأساليب الفاعلة والمؤثرة في جذب النفس وتشويقها إلى طريق الخير.
- تسهيل التربية وذلك بمعرفة طبائع المتربي وخصائصه والبحث عن أنجح السبل للاستفادة من طاقاته وقدرته ولبيان قيمه واتجاهاته.

ويكون الداعية على معرفة بهوى النفس وميولها واتجاهاتها وتأثرها وتأثيرها في

(١) انظر: مجلة منار الإسلام الإماراتية العدد ٣٦٣، ص ٢٤ - ٢٦.
(٢) انظر: مجلة الرابطة؛ العدد ٤٤٢، ص ٣٦ - ٤٠.

المجتمع الذي نعيش فيه حتى يمكن للداعية توجيهها.. كما أنه يفيد في فهم كثير من النصوص الدينية.

كما أنه يزيد الداعية فهماً لأسرار كثير من الأحكام الشرعية فيزداد إيماناً بكمال عدل الله وحكمته فيما شرع، فيكون أقدر على بيان ذلك لغيره من الناس.

[٢] علم التربية :

فالدعوة والتربية صنوان لا ينفصلان وقد كان رسول الله ﷺ داعية ومربياً في آن واحد: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ ﴾ [الجمعة: ٢]، أي يربيهم، ولذا ينبغي للداعية أن يلم بهذا العلم، فالداعية مربٍ فاضل، لذلك ننصحه بالاطلاع في هذا المجال على :

- أصول التربية في الإسلام؛ الدكتور عبد الفتاح جلال
- منهج التربية؛ محمد قطب
- نحو التربية الإسلامية الحرة؛ الأستاذ أبي الحسن الندوي
- منهج القرآن في التربية؛ محمد شديد
- في أصول التربية الإسلامية؛ الدكتور عبد الغني عبود
- فلسفة التربية الإسلامية؛ الدكتور عمر التومي

[٣] تعلم اللغات الأجنبية الحية :

وخاصة للأمم التي يراد دعوتها إلى الإسلام، لأن الدعوة المباشرة أجدى وأنفع من الدعوة عن طريق مترجم، وقد ثبت أن النبيّ ﷺ أمر زيد بن ثابت بإجادة السريانية، يقول : فتعلمتها في سبعة عشر يوماً. رواه أحمد.

وقد قال الشاعر :

بقدر لغات المرء يكثر نفعه ::: فتلك له عن الملمات أعوان
فأقبل على درس اللغات وحفظها ::: فكل لسان في الحقيقة إنسان

[٤] علم الاجتماع :

وهو العلم الذي يعني بدراسة المجتمع البشري في مختلف أحواله وحالاته وتحليل ظواهره والكشف عن قوانينه، ويعد علم الاجتماع بمفهومه الغربي من أهم العلوم المعاصرة التي حققت مقاصدها في التبديل الثقافي والغزو الفكري للأمة الذي لا يؤمن بالوحيّ الإلهي وشكك فيه، بل وكل الغيبيات وأن الدين نوع من السحر، ويتمثل خطورته في شموليته وتناوله للقضايا المختلفة، كما أن ميادينه متسعة، وقد وطدت (قواعد المنهج في علم الاجتماع) منذ ظهورها في القرن التاسع مع أركانها في العالم الإسلامي [١].

وإن كانت المكتبة العربية قد امتلأت بالكتابات التي تروج لأفكار علم الاجتماع الغربي وتخالف العقيدة بأقلام مؤلفين من المسلمين أنفسهم من ذلك [٢] :

- عون الشريف قاسم في مؤلفه : من قضايا البعث الحضاري.
- عبد الكريم الخطيب في مؤلفه : القصص القرآني في منطوقه ومفهومه الاجتماعي.
- أحمد الخشاب في مؤلفه : التفكير الاجتماعي.
- هشام علي صادق وعكاشه عبد المتعال في مؤلفهما : تاريخ النظم الاجتماعية والقانونية.
- سناء الخولي في مؤلفها : مدخل إلى علم الاجتماع.
- زيدان عبد الباقي في مؤلفه : ركائز علم الاجتماع، وغيرها.

وإن عملية التأصيل الإسلامي لعلم الاجتماع تعد من فروض الكفاية، ومن منطلقات فكرية تنسجم مع عقيدة الإسلام ونظرته إلى الدين وهناك محاولات على هذا الطريق مثل :

---

(١) انظر: مجلة منار الإسلام؛ صفر ١٤٢٤هـ، ص ٤٤ - ٤٨.

(٢) انظر: مجلة الأزهر؛ مقال للدكتور رجب بيومي، رجب ١٤٢٢هـ ص ١٠٩١.

- المدخل إلى المدرسة الإسلامية في علم الاجتماع؛ للدكتور مصطفى محمد حسين.
- المسألة الاجتماعية بين الإسلام والنظم البشرية؛ الأستاذ عمر عوده.
- الإسلام وبناء المجتمع؛ الدكتور أحمد العسال.
- قضايا في الاجتماع الإسلامي المعاصر؛ الدكتور محمد الفيومي.
- المجتمع الإسلامي المعاصر؛ الأستاذ محمد المبارك.

[٥] علم الأخلاق :

وهو قسم من الحكمة العلمية وموضوعه الملكات النفسانية من حيث تعديلها من الإفراط والتفريط ليكون في أولاه بعيدا وفي أخراه حميدا، ويدخل في نطاق علم الفلسفة بنظرياته المختلفة ومدارسه المتعددة ويهتم بالبحث عن قيمة الخير كما هو معلوم للتعرف على أنواع الفضائل وكيفية اقتنائها لتتحلى بها النفس وبالرذائل لتجنبها. ومن الكتب النافعة في هذا المجال :

- الفلسفة الخلقية؛ الدكتور توفيق الطويل.
- المشكلة الأخلاقية؛ ترجمة د. عبد الحليم محمود.
- مباحث في فلسفة الأخلاق؛ الدكتور محمد يوسف موسى.
- تهذيب الأخلاق لابن مسكويه.
- مقدمة في علم الأخلاق؛ الدكتور زقزوق.
- وللدكتور محمد عبد الله دراز رحمه الله : كلمات في مبادئ علم الأخلاق، فلسفة الأخلاق في ضوء الإسلام.

[٦] علم الفلسفة :

ويحسن بالداعية **الإلمام بعلم الفلسفة** واتجاهاتها المادية والروحية والوضعية والمثالية ليتمكن من فهم الأفكار المعادية للإسلام التي غزت كثيراً من عقول أبناء المسلمين اليوم مثل الوجودية، وحتى يتمكن من الرد على المخالف للإسلام بسلاح الفكر نفسه.

وأما ما كان منها في الموجودات التى وراء الحس وهى الروحانيات ويسمى علم ما وراء الطبيعة، وهذه لا يمكن التوصل إليها ولا البرهان عليها لذلك تهجم البعض على الفلسفة، وهذا ما فعله أبو حامد الغزالي في كتابه تهافت الفلاسفة، والدكتور عبد الحليم محمود في كتاباته مثل الإسلام والعقل، وكذا ابن تيمية في درء تعارض العقل والنقل وافقه صحيح المنقول في الصريح المعقول.

إلى جانب أن ينتفع بثمار الحكمة منها " فالحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق بها" رواه الترمذي وابن ماجه..

ومن أفضل ما كتب في ذلك :

- الدين للدكتور محمد عبد الله دراز.
- الجانب الإلهي من التفكير الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، تهافت الفكر المادي التاريخي، وكلاهما للدكتور محمد البهي.
- وقصة الإيمان بين العلم والفلسفة للشيخ سليم الجسر.
- مناهج البحث عند مفكري الإسلام للدكتور علي سامي النشار.
- كتب د. محمود حمدي زقزوق : تمهيد للفلسفة، المنهج الفلسفي بين الغزالي وديكارت - دراسات في الفلسفة الحديثة - مدخل إلى الفكر الفلسفي (مترجم عن الألمانية) - مقدمة في الفلسفة الإسلامية - الدين والحضارة - الدين والفلسفة - الإسلام وقضايا الإنسان.

[٧] علم الاتصال.. والإعلام الإسلامي :

حيث أن كل وسيلة من وسائل الاتصال هي صناعة تقويم تهتم بنقل الرسالة ذاتها في آن واحد أو تقريباً لمجموعة واسعة من الأفراد [١].

وهناك قاعدة في ذلك تقول : أن الأقوياء هم الذين يمتلكون الإعلام ويسيطرون على قنوات الاتصال التي ينتقل الإعلام خلالها، ومن هنا يجب أن يهتم الداعية بدراسة علم

(١) انظر: وسائل الاتصال: نشأتها وتطورها؛ خليل صابات، ص ٥.

الاتصال ووسائله، والإعلام الإسلامي واستحداث التقنيات الحديثة لتوصيل دعوته إلى الجماهير.

[٨] **علم الاقتصاد العام.. والاقتصاد الإسلامي :**

وإذا كان موضوع علم الاقتصاد هو البحث في المشكلة الاقتصادية التي تعني قلة الموارد وكثرة السكان بوجه عام، فإن علم الاقتصاد الإسلامي يربط بين حل المشكلة الاقتصادية في المجتمع الإسلامي وشرع الله.

وعلى الداعية الإطلاع على مبادئ علم الاقتصاد وكيف يساهم الإسلام في حل مشكلة الفقر ودور الزكاة في ذلك باشتراكية الإسلام الحقة [١].

والداعي العصري يجب أن يكون موسوعة شرعية وعلمية شاملة على علم بكل علوم العصر حتى علم الفلك، والجيولوجيا بدراسات مبسطة..

وعموماً فلا يجب أن يغيب عن ذهن الداعية أن محور عمله أساساً هو الإنسان؛ عقله وقلبه في أشق وأصعب جوانبه فيستعد لذلك ويتسلح بكل ما يهمه.

* * * * *

(١) انظر مجلة الأزهر؛ رجب ١٤٢٢هـ، مقال الداعية المعاصر د. رجب بيومي، ص ١٠٩٠ - ١٠٩٧.

الفصل الثالث
فـــي تكويـــن الدعـاة

ولأن الداعية شخصية غير عادية فإن الإعداد للدعاة عملية مركبة من عدة مراحل تستغرق وقتاً طويلاً، فهي تستمر من المهد إلى اللحد، ويبدأ التكوين ويستمر في عدة مراحل.

- مرحلة التنشئة والتأصيل.
- مرحلة التأهيل.
- مرحلة التدريب والتنمية الدعوية.

المقصد الأول:
المرحلة الأولى: مرحلة التنشئة

فينبغي أن ينشأ في بيئة سوية عن الانحراف ويلتمس الدين سلوكاً وقولاً، ويدرب فيها على المحاورة والإقناع.

فقد ذكر الرسول ﷺ أهمية التنشئة في الحديث الشريف حيث يقول : «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله وذكر فيهم : شاب نشأ في طاعة الله»..

وإذا كانت مراحل النمو كما يحددها علم النفس التربوي تنقسم إلى ثلاث مراحل هي:

- مرحلة الرضاعة : وهي من الولادة إلى نهاية السنة الثانية
- مرحلة الحضانة : وتقع بين الثالثة وسن السادسة، وأهم معالمها النفسية :

تمركز الطفل حول نفسه والحاجة للرحمة والعطف والحنان واللين، والحاجة للعب والمزاح والحركة، مما يستوجب تلبيتها وإشباعها بطريقة صحيحة ومراعاة ذلك.

- مرحلة التمييز : وتبدأ من سن السابعة وهي تمثل نقلة نوعية في حياة الفرد.

وفيها يبدأ في تحمل التبعات المناسبة والعبادات الشرعية كالصلاة والصوم المتقطع وغيرها لقدرته على التمييز، وقابليته للتدريب والتعليم.

بل إن مرحلة ما قبل الولادة وقبل أن يتشكل الجنين وتكون من الأهمية بمكان، وخاصة في الإسلام، لذلك لا نعجب أن دولة الصين تسجل تاريخ ميلاد الطفل، ليس من لحظة نزوله للحياة بالميلاد، ولكن من بداية حمله.

لذلك جعل الإسلام للأبناء حقوقاً على الآباء حتى قبل أن يوجدوا لعلّ أهمها حسن اختيار أمه..

قال تعالى: ﴿ وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ﴾ [البقرة: ٢٢١]، ويقول الرسول ﷺ: «تخيروا لنطفكم فإن النساء يلدن أشباه إخوانهن وأخواتهن» [١].

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «زوجوا في الحجز (أي المنبت الصالح) فإن العرق دساس»، يعني الوراثة أصلاً [٢].

ويقول : «إن الدنيا كلها متاع وخير متاعها المرأة الصالحة» [٣].

ومن حق الولد على الوالد أن يحسن اسمه كما في الحديث الشريف فيتخير له أحب الأسماء.

رُوي عن عمر رضي الله عنه أن رجلاً جاء إليه بابنه فقال إن ابني هذا يعقني، فقال عمر للابن : أما تخاف الله عقوق والدك، فإن من حق الوالد كذا، فقال الابن: يا أمير المؤمنين أما للابن على والده حق؟ قال: نعم حقه عليه أن ينتخب أمه ويحسن اسمه ويعلمه الكتاب، فقال الابن فوالله ما استنخب أمي وما هي إلا سندية اشتراها بأربعمائة درهم ولا أحسن اسمي فقد سماني جعلاً ولا علمني من كتاب الله آية واحدة..

فالتفت عمر إلى الأب وقال: تقول ابني يعقني فقد عققته قبل أن يعقك قم عني [١].

---

(١) رواه ابن عدي في الكامل وابن عساكر؛ الجامع الصغير، جـ ١، ص ٢٢٣.
(٢) رواه ابن عدي في المرجع السابق.
(٣) رواه النسائي ومسلم.

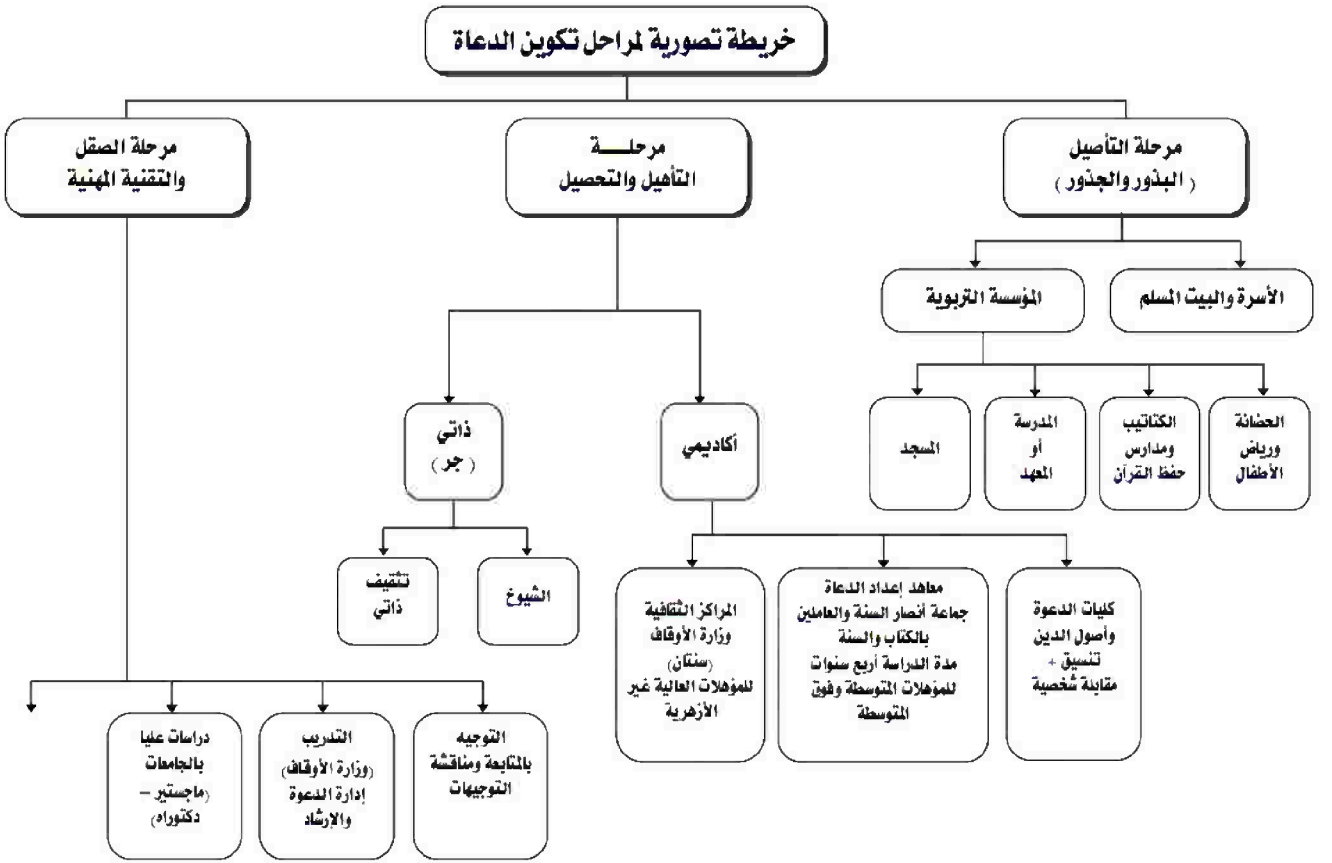
خريطة تصورية لمراحل تكوين الدعاة
مرحلة التأصيل
(البذور والجذور)
مرحلـــة
التأهيل والتحصيل
مرحلة الصقل
والتقنية المهنية
الأسرة والبيت المسلم
المؤسسة التربوية
الحضانة
ورياض
الأطفال
الكتاتيب
ومدارس
حفظ القرآن
المدرسة
أو
المعهد
المسجد
أكاديمي
ذاتي
(جر)
كليات الدعوة
وأصول الدين
تنسيق +
مقابلة شخصية
معاهد إعداد الدعاة
جماعة أنصار السنة والعاملين
بالكتاب والسنة
مدة الدراسة أربع سنوات
للمؤهلات المتوسطة وفوق
المتوسطة
المراكز الثقافية
وزارة الأوقاف
(سنتان)
للمؤهلات العالية غير
الأزهرية
الشيوخ
تثقيف
ذاتي
التوجيه
بالمتابعة ومناقشة
التوجيهات
التدريب
(وزارة الأوقاف)
إدارة الدعوة
والارشاد
دراسات عليا
بالجامعات
(ماجستير –
دكتوراه)

[١] فالأسرة المسلمة والبيت المسلم أولاً للتكوين النفسي

فقد حث الإسلام على تكوين الأسرة على أن يعيش الفرد في ظلالها، ولا يقوم مقام الأسرة شيء آخر، والطفل لابد له من النشأة في أسرة وإلا نبت ونما مبتور العواطف شاذ السلوك.

وحاجته إلى أمه وأبيه حاجة أصيلة لا يغنيه عنها حاجة أخرى أو تعهد أو ولا ترضي فطرته بديلاً عنها، فيظل مفتقراً أبداً إلى حماها متعطشاً إلى عواطفها ومشاعرها.

وللأسرة كذلك وظائفها الخاصة في ميدان التربية لا يغنى عنها عامل آخر.

وعلى الأسرة يقع قسط كبير من واجب التربية الخلقية والوجدانية والدينية في جميع مراحل الطفولة بل في المراحل التالية لها كذلك.

فالأسرة هي التي تجعل من الطفل حيواناً مدنياً وتزوده بالعواطف والاتجاهات اللازمة للحياة في المجتمع وفي البيت [1].

أولاً : الأب :

إذا كانت البداية الحقيقية للأسرة بالأبوين الأب والأم، فعلى كل منهما تقع أعباء تربية الطفل ونموه جسمياً ونفسياً ودينياً..

وينشأ ناشئ الفتيان فينا ::: على ما قد عوده أبوه

فهو القدوة وهو المثل الأعلى داخل البيت وخارجه وتهيئه البيئة الصالحة للأبناء.

ثانياً : الأم :

ويأتي دور الأم الذي لا يقل أهمية عن دور الأب في التربية، وإن كانت هي الطرف الثاني في تكوين الأسرة.. وقد قال حافظ إبراهيم فأبدع :

الأم مدرسةٌ إذا أعددتها ::: أعددت شعباً طيب الأعراق

---

(١) الأسرة والمجتمع؛ د. وافي، ص ٢٠.

وقد كرّمها الرسول ﷺ حينما سأله أحدهم : من أولى بحسن صحبتي؟ قال عليه السلام: أمك ثم أمك ثم أمك.. قالها ثلاثاً ثم قال بعد ذلك : أبوك.

فهي التي تحمل وتضع وترضع ثم الحضانة والتربية والعطف، وتتحمل في سبيله المشاق وخيرهن من اهتمت برضاعة طفلها رضاعة طبيعية استجابة لقول الله تعالى: ﴿ ۞ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾ [البقرة: ٢٣٣].

وذلك لما للرضاعة من مكانة حيوية في حياة الطفل.. فقد جعلها الإسلام مسئولية تربوية وواجباً شرعياً على الأم تأثم إذا قصرت فيه.

جاء في المنار في تفسير هذه الآية : إن لبن المرضع يؤثر في جسم الطفل وفي أخلاقه وسجاياه، ولذلك يحتاط في انتقاء المراضع، ويتجنب استرضاع المريضة والفاسدة والأخلاق والآداب [1]..

وجعل الإسلام حضانة المولود في سنيه الأولى إلى من يقوم بحقوقه ويستطيع القيام بتربيته وتعليمه.

يقول ابن القيم : الصبي في هذه الحالة ضعيف العقل يؤثر البطالة واللعب فإذا اختار من يساعده على ذلك لا يلتفت لاختياره وكان عند من هو أنفع له وأخير ولا تحتمل الشريعة غير هذا.

والله تعالى يقول : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ﴾ [التحريم: ٦].

والرسول ﷺ يقول : «مروهم بالصلاة لسبع واضربوهم على تركها لعشر وفرقوا بينهم في المضاجع».

وقال سيدنا الحسن رضي الله عنه : علموهم وأدبوهم وفقهوهم فإذا كانت الأم تتركه في المكتب وتعلمه القرآن والصبي يؤثر اللعب ومعاشرة أقرانه وأبوه يشجعه على ذلك،

(١) المنار؛ جـ ٢، ص ٤١٦.

فأمه أحق به بلا تخيير ولا قرعة وكذلك العكس ومتى أخل أحد من الأبوين بأمر الله ورسوله في الصبا وعطله والآخر مراع له فهو أحق به وأولى.

وقال ﷺ : «لأن يؤدب الرجل ولده خير من أن يتصدق بصاع»، لأنه فيما بعد هو صدقة جارية.. وقال : «حق الولد على الوالد أن يعلمه الكتاب والسباحة والرماية وأن لا يرزقه إلا طيباً» رواه البيهقي في شعب الإيمان عن أبي رافع[1].

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : «كفى بالمرء إثما يضيع من يقوت» رواه أبو داود [2].

أ) وفي إسلام علي ابن أبي طالب وهو ابن عشر سنين ما يدلنا على ما للبيئة من الأثر الظاهر في نشأته رضي الله عنه.. قال ابن إسحاق : كان أول ذكر من الناس آمن برسول الله ﷺ وصلى معه وصدق بما جاء من الله تعالى : علي بن أبي طالب، وهو يومئذ ابن عشر سنين وكان مما أنعم الله به على عليّ أنه كان في حجر رسول الله ﷺ قبل الإسلام وذلك بسبب الضائقة المالية التي كان يعيش فيها أبو طالب مع كثرة عياله فأخذ الرسول ﷺ علياً يربيه، فلم يزل معه حتى بعثه الله نبياً فاتبعه عليّ وآمن به [3].

ب) وعن أبي هريرة قال أخذ الحسن بن عليّ رضي الله عنهما تمرة من تمر الصدقة فجعلها في فيه فقال رسول الله ﷺ : «كخ كخ.. ارم بها.. أما علمت أنا لا نأكل الصدقة» متفق عليه [4].

ج) **وللأبناء حق التعليم** : علي وليّ أمره أن يعلمه ما هو فرض عليه حين يبلغ وأن يوجهه لتوجيه الحسن وفي وصية لقمان لابنه ما يبين لنا هذا :

﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ ﴾ [لقمان: ١٣]، وذلك لتمكين العقيدة.

---

(١) الجامع الصغير؛ جـ ١، ص ٥٥.
(٢) رياض الصالحين؛ ص ١٤٦.
(٣) سيرة ابن هشام؛ جـ ١، ص ١٦٢.
(٤) رياض الصالحين، ص ١٤٩.

ثم يقول: ﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٖ ﴿١٨﴾ وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ ﴿١٩﴾ ﴾ [لقمان: ١٧ - ١٩]، وهكذا ثني لقمان في موعظته بإقامة الصلاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.. والقيام بهما أمر يحتاج إلى الصبر، ثم التواضع للناس والاعتدال في السير وخفض الصوت.

د) وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كنت خلف النبي ﷺ فقال: «يا غلام إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظ، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف» رواه الترمذي[1].

ويحذر المصطفى ﷺ من مخالطة قرناء السوء، وعلى الأسرة مراقبة ذلك فيقول: «إنما مثل الجليس الصالح وجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك (يعطيك) وإما أن تبتاع منه وإما أن تجد منه ريحاً طيباً.. ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد منه ريحاً منتنة» متفق عليه[2].

قال الشاعر:

واحذر مصاحبة اللئيم ::: فإنها تعدى كما يعدى السليم الأجرب

وقال آخر:

وكل إلف يلوف بالفه ::: حتى الطيور على أشكالها تقع

وقال آخر:

واختر صديقك واصطفيه تفاخراً ::: إن القرين إلى المقارن ينسب

وعلى الأم تقع المسئولية الكبرى لإعداد الطفل ورعايته وعبر نفسياً، وعبر

(١) رياض الصالحين، ص ٤٨.
(٢) رياض الصالحين؛ ص ١٧٣.

الإسلام على ذلك بلفظ (الحضانة).

والحضانة في اللغة مشتقة من الحضن والصدر والعضدان وما بينهما.

وهي في الشرع كلمة وفترة من العمر عرفها المالكية : " حفظ الولد في مبيته وذهابه ومجيئه والقيام بمصالحه من طعام ولباس وتنظيف جسمه وموضعه " [1].. وهو تعريف يكاد يحصرها في جوانبها المادية.

أما تعريف الحنابلة فإنه يتسع للوظائف النفسية للحضانة بقولهم: " وتربية الصغار مما يضرهم وتربيتهم بعمل مصالحهم كغسل رأس الطفل ويديه وثيابه وتكحيله وربطه في المهد وتحريكه لينام ونحوه [2].

ومن مسئوليات التربية المشتركة بين الأبوين : تربية العقيدة الصحيحة :

وقد أشار القرآن الكريم إلى دور الأم في هذا الصدد من خلال الربط بين ابن نوح الذي كفر وأمه قال تعالى: ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا ﴾ [التحريم: ١٠]، وتدل الآية على تعاون الأم مع الأب في تنشئة أولادهما تنشئة صحيحة التي يقول فيها الله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِىٓ أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِى ۖ وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيْلَكَ ءَامِنْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ [الأحقاف: ١٧].

النمو النفسي : إذ يقول علماء نفس النمو أن مرحلة التمييز التي تبدأ عند الطفل من السابعة من عمره تتأثر :

أ) بالعامل الذاتي : وظهور استعداداته الذاتية وأهمها :

- القدرة على التمييز والمحاكاة العقلية من خلال الواقع ومن هنا تبدأ محاكاة القدوة.
- القدرة على الحفظ : فهل استمرت الأسرة في تحفيظ الطفل في هذه السن حفظ ما يستطيع من قصار سول القرآن ومن أسماء الله الحسنى وأسماء الأنبياء بدلاً من

(١) انظر حاشية الدسوقي؛ جـ ٢، ص ٥٢٦.
(٢) كشف القناع للبهوتي، جـ ٥، ص ٤٩٥.

حفظ ما شاء الله من الأغاني الهابطة وأسماء لاعبي الكرة.

- القدرة على التقليد واكتساب العادات مثل تعويد الطفل على صيام ما يقدر عليه من نهار رمضان، قال الغزالي : "إذا بلغ الصبي سن التمييز فينبغي ألا يسامح في ترك الطهارة والصلاة ويؤمر بالصيام في بعض أيام رمضان".
- القدرة على الحركة واللعب واكتساب المهارات فيمكن استثمارها في تعليم الطفل حركات الوضوء والصلاة.

ب) **العامل البيئي** : وهو كل ما يحيط بالطفل في بيئته ومن خلال تعلمه ممن حوله بأنواع التعليم الاجتماعي بأساليب عدة منها القدوة الحسنة عن طريق عدد من المبادئ وأهمها :

- مبدأ التطابق بين القول والفعل ومن هنا يستوعب عادة الصدق والكذب ممن حوله
- مبدأ عرض النموذج
- مبدأ التكرار
- العامل الغائي : وقد حدد الإسلام للمسلم في كل عمل من أعمال الجوارح أو نشاط يقوم به غاية أو هدف وفق المنهج الشامل لحياة المسلم [1].

النمو الخلقي : وتنقسم إلى ثلاث مراحل :

[١] المرحلة الظاهرية الانقيادية :

وتقع في سن العاشرة وما قبلها وفيها يتجه الفرد إلى السلوك الشكلي الذي لا عمق فيه.

[٢] المرحلة الاقتناعية الانقيادية :

وتبدأ من سن الحادية عشرة إلى الخامسة عشرة وما بعدها.. وفيها يتأصل السلوك

(١) مجلة الرابطة، العدد ٤٤٢ شعبان، ١٤٢٢هـ، ص ٢٨.

ويكتسب بعداً باطناً وجذوراً داخلية، وتبدأ مرحلة الوعي الحقيقي بالمعاني الخلقية والتعليلات النفسية والاجتماعية للضوابط والأخلاق والاتجاهات وما يعرف بالضمير ويمكن ملأها بأركان العقيدة والشعور بوجود الله ومراقبته والإيمان باليوم الآخر والقضاء خيره وشره فيرضي به ويصبر على بلائه ويشكر لنعمائه.

[٣] مرحلة الرقابة الذاتية :

وتقع في سن الخامسة عشرة وما بعدها.. وفيها تكون استعدادات المراهق العقلية والنفسية في حالة تكامل وقوة ووعي ويكون الشعور بأهمية الالتزام الخلقي أكثر عمقاً وتكتسب المبادئ الخلقية قيمة عظيمة وبعداً لدى الفرد، كما يكون لدى الفرد نوع من الرقابة الذاتية الداخلية المرتبطة بالوعي بالنظام الخلقي فيحاسب نفسه ويراقبها ويضبطها حتى لا يتخرج عن ذلك النظام.

ولقد قسم عالم النفس (كولبرج) مراحل النمو الخلقي عند الناشئ إلى ثلاث وهي :

١- المستوى ما قبل الخلقي (من ٤-١٠) وفيه نوعان هما :

- الطاعة خوفاً من العقاب
- الطاعة لجلب السرور والمنفعة

٢- مستوى الامتثال العرفي للمبادئ (من ١٠-١٣) وفيه كذلك نوعان هما :

- الحصول على ثقة الآخرين والعلاقة الطيبة بهم
- الاستجابة لرغبة السلطة

٣- مستوى القبول الذاتي للمبادئ (١٣ فما فوق) وفيه نوعان هما :

- الاتجاه إلى مفاهيم العقد الاجتماعي والتوجه الذاتي، ويمكن في هذه الفترة تعريف الأبناء بمفهوم العورات ومعنى بلوغ الحلم وأوقات الاستئذان وتعريف البنات بستر العورة وعدم التبرج وتعويدهن المشية المستقيمة التي لا تكشف مفاسد الجسد، وهكذا يعمل البيت المسلم على تربية الروح في أبنائها في خطين عريضين واضحين هما :

- عبادة الله سبحانه بالفرائض والنوافل تدريجياً وفق ما شرع عبادة بالاختيار.

- النظر والتأمل فيما خلق لأخذ الاعتبار والوقوف على الحق [1].

■ وغرس مبادئ الإسلام في نفسه ليشب مسلماً صالحاً ربانياً فمن شب على شيء شاب عليه..

- ومن ذلك ما رواه الحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبيّ ﷺ أنه قال: «افتحوا على صبيانكم أول كلمة لا إله إلا الله.. ولقنوهم عند الموت لا إله إلا الله»..

- وروى الطبري وابن النجار عن عليّ كرم الله وجهه أن النبيّ ﷺ قال : «أدبوا أولادكم على ثلاث خصال : حب نبيكم وحب آل بيته وتلاوة القرآن فإن حملة القرآن في ظل عرش الله يوم لا ظل إلا ظله مع أنبيائه وأصفيائه».

- ولقد كان رسول الله ﷺ وهو معلم البشرية لا يترك فرصة ولا موقف إلا قدم النصح للأطفال وأرشد إلى السلوك الصحيح، ومن ذلك ما قاله للطفل سلمة الذي كان في حجره في آداب الأكل: «سم باسم الله وكل بيمينك وكل مما يليك» رواه الشيخان.

- وروى ابن السني عن أبي هريرة أن النبيّ ﷺ رأى رجلاً معه غلام فقال للغلام: ((من هذا؟)) قال: أبي، قال عليه الصلاة والسلام للغلام: ((فلا تمش أمامه ولا تسخب له ولا تجلس قبله ولا تدعه باسمه)).

* * * * *

(١) تربية الناشئ: د. علي عبد الحليم محمود، ص ١٨٥.

(ب) المسجد
وكيف يمكن استثمار معطياته المتميزة
في بناء الإنسان والمجتمع

والمسجد في لغة العرب: اسم لمكان السجود.. والجامع نعت للمسجد الذي فيه الجمعة وإن كان صغيراً وعرفا اسم للمكان الذي أعد للصلاة وكل موضع يتعبد فيه الله.. والسجود أشرف أفعال الصلاة وأن بيوت الله في الأرض المساجد.

حيث يستمد المسجد في الإسلام شرفه ومكانته السامية من صلته بالإسلام وارتباطه بتعاليمه وتطبيقاته العملية باعتباره وسيطاً وكونه رمزاً وشعيرة من شعائر الإسلام.

وقد أمر الله عباده ببنائه ورفع عمده وعمارته: ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾ ﴾ [النور: ٣٦ - ٣٨].

كما يستمد مكانته من كونه مضافاً إلى الله عز وجل: ﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ ﴾ [الجن: ١٨].

وهو مصدر الإشعاع الحضاري والمعرفي للإسلام لتوجيه المجتمع إيمانياً ومادياً[1].

وهو مؤسسة العلم تعلماً وتعليماً، وهو دار للإفتاء وساحة القضاء، قال تعالى: ﴿ وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ ﴾ [ص: ٢١].

كما أن للمسجد دوراً عظيماً في التنشئة والتطبيع والتوجيه الاجتماعي للفرد وللمجتمع الإسلامي، فهو يعلّم الفرد كيف ينشأ نشأة اجتماعية بعيداً عن الأنانية وحب الذات، والانتقال من السلبية إلى الإيجابية والتفاعل والتعاون، وبصلاحه يصلح المجتمع، ومن هنا فإن المسجد يمثل حجر الزاوية في تكامل الشخصية.

---

(١) مجلة الأزهر؛ شعبان ١٤١٧هـ، ص ١٤٦٦.

والمسجد يعلمه كيف يحب الجماعة التي ينتمي إليها ويتعاون مع أعضائها لرفعة شأنها والتكافل الاجتماعي، وفي المسجد تتلاشى التفرقة بين الناس بعضها بعضاً فيتعلم التواضع وأن طريق الجنة يبدأ من المساجد والسجود (واسجد واقترب).

والمسجد هو الدعامة القوية إلى جوار البيت التي يقوم عليها بناء الفرد المسلم، ومن ثم المجتمع المسلم، حيث يعمل على تماسك الأسرة المسلمة الخلية الأولى للأمة الإسلامية عن طريق ما يلقى من محاضرات وخطب وعظات في جميع شئون الحياة، فهو مركز إشعاع حضاري للمسلمين.

والمسجد تدريب للمسلمين على النظام والنظافة والطاعة والضبط والانضباط، فإذا صاح المؤذن الله أكبر ترك المسلمون جميعاً كل ما هم فيه من عمل واتجهوا إلى المسجد ملبين دعوة الله: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾﴾ [التوبة: ١٨].

ونشير هنا إلى الوظيفة التي يجب على الناشئ المسلم [١] أن يؤديها نحو المسجد لينشأ عليها ويتعودها :

[١] معرفة آداب المسجد والالتزام بها في صلة يومية خمس مرات يومياً :

- فلدخول المسجد أدب يتمثل في أن يدعو الداخل بداء ورد عن رسولنا ﷺ : «أعوذ بالله العظيم ووجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم».
- ومن آداب المسجد أن يصلي من يدخله ركعتين تحية للمسجد قبل أن يجلس.
- وعن أدب الجلوس في المسجد أن يجلس الإنسان حيث ينتهي به المجلس ولا يتخطى رقاب الناس.
- معرفة الأماكن التي تحرم فيها الصلاة وهي سبعة مواطن المزبلة والمحرزة والمقبرة وقارعة الطريق وفي الحمام وفي معاطن الإبل وفوق بيت الله الحرام..

(١) تربية الناشئ المسلم؛ ص ٤٣٠.

استثناء من قوله عليه السلام وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً.

- معرفة آداب المكث في المسجد : فلا يمكث في المسجد إلا وهو على وضوء، وفي المسجد يتعلم خفض الأصوات في المسجد في صلاة أو في غير صلاة، ومن آداب المسجد ألا يباع فيه شيء ولا تنشد فيه ضالة ولا تناشد فيه الأشعار.

[٢] حب المسجد والإقبال عليه :

قال عليه السلام : «من غدا إلى المسجد أو راح أعد الله له في الجنة نزلاً كلما غدا أو راح». فإن المسلم لا يكتمل إيمانه إلا بالتردد على المسجد والمواظبة على حضور الجماعات..

فقد روى الإمام أحمد بسنده عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال : «إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالإيمان».

وروى ابن ماجه بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «إذا توضأ أحدكم فأحسن الوضوء ثم أتى المسجد لا ينهزه إلا الصلاة لا يريد إلا الصلاة لم يخط خطوة إلا رفعه الله بها درجة وحط عنه بها خطيئة حتى يدخل المسجد، فإذا دخل المسجد كان في صلاة ما كانت الصلاة تحبسه»، وفي رواية أخرى : «والملائكة يصلون عليه في مجلسه الذي صلى فيه يقولون : اللهم اغفر له، اللهم ارحمه، الله تب عليه ما لم يحدث فيه ولم يؤذ فيه».

[٣] اجتناب ما يكره في المساجد :

روى ابن ماجه بسنده عن ابن عمر رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال :

" خصال لا تنبغي في المساجد :

- لا تتخذ طريقاً
- ولا يشهر فيه سلاح
- ولا يقبض فيه بقوس
- ولا ينثر فيه نبل

- ولا يمر فيه بلحم نيئ
- ولا يضرب فيه أحد
- ولا يقتص فيه من أحد
- ولا يتخذ سرقا "

فهذه أمور لا يجوز أن تمارس فيه لتظل لها قدسيتها وقداستها؛ إذ يكفي أنها بيوت الله.

[٤] تعهد المسجد وتنظيمه وتنظيفه :

فعلى المسلمين تعهد مساجدهم بالتنظيف والتطهير والتطيب وإخراج أي أذى منه، فقد روى ابن ماجه بسنده عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ : «**من أخرج من المسجد أذى بنى الله لـــه بيتاً في الجنة**».

وروى ابن ماجه بسنده عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ أمر بالمساجد أن تبنى في الدور وأن تطهر وتطيب.

وهكذا يكون للمسجد الدور المهم الذي يلي الأسرة (البيت) في تربية الناشئ في الإسلام.. الناشئ في طاعة الله، وبذلك تتكون عقليته وبها ذاتها تتشكل نفسيته ويصبح الإسلام مقياساً لجميع أفكاره عملياً وواقعياً وهو الأمر الذي ينشئ ي الإنسان عقلية إسلامية ونفسية إسلامية أيضاً فيجعل من الإسلام فكره وسلوكه وعقيدته ويصبح شخصية متزنة [١].

* * * * *

(١) الشخصية الإسلامية سمات وتحديات؛ محمد طه كسبه، ص ٨، ٩.

ج) دور الحضانة.. ورياض الأطفال
وكتاتيب تحفيظ القرآن في التنشئة الإسلامية

فالإسلام يعامل الناشئ المعاملة التي تنضجه بل تبكر بنضجه؛ إذ يشعره بالمسئولية منذ زمن باكر في حياته، فيحبذ حفظه للقرآن الكريم وتعلمه في الكتاتيب العامة.. وفي دور الحضانة، وفي رياض الأطفال.

والفرق بين دور الحضانة، ورياض الأطفال أن الأولى منشأة إيواء تتبع وزارة الشئون الاجتماعية (التضامن الاجتماعي حالياً) لإيواء الأطفال من أي سن حتى سن الخامسة، وخاصة أبناء المرأة العاملة. وليس لها منهج معين، فغالباً تقوم على تحفيظ قصار السور بخلاف رياض الأطفال، فهي لها مناهج معتمدة وتشرف عليها وزارة التربية والتعليم، وللأسف لليس من بينها مقرر لحفظ القرآن في هذه السن.

أما الكتاتيب : فغالباً ما يلتحق بها الأطفال الغير راغبي أولياء أمورهم في الالتحاق بدور الحضانة أو رياض الأطفال ويوهبونهم لتحفيظ القرآن الكريم للالتحاق بالمعاهد الأزهرية مستقبلاً.

والكتاتيب : جمع كُتَّاب كما في اللسان وهو موضع تعليم الكتاب للصبيان.

والمكتب : أيضاً في رأي الفيروز أبادي موضع التعليم وجمعها مكاتب [1].

وهكذا نجد أننا لو رجعنا إلى الاستعمال الاصطلاحي لكلمتي (مكتب وكُتَّاب) لوجدنا أن كليهما مستعملاً بمثابة موضع التعليم الأولي لتعليم القراءة والكتابة ومبادئ علم الحساب، لكنه غالباً ما يرتبط اسم الكُتَّاب في الأذهان بتعليم القرآن الكريم، مما يجع لنشأته تعود إلى ظهور الإسلام غالباً.

وقد وجد الكُتَّاب لتعليم القرآن أول ما وجد في المسجد، حيث كان الأطفال يتحلقون في حلقات حول معلم القرآن.. ثم ظهرت كتاتيب ملحقة بالمسجد وأخرى مستقلة عنها تماماً، حيث يروي الإمام الشافعي أنه لما ختم القرآن دخل المسجد، مما يوحي باستقلال هذا عن ذاك [2].

---

(١) انظر: لسان العرب والقاموس المحيط؛ مادة كتب.

(٢) ابن عبد البر؛ جامع بيان العلم وفضله (١٩٨/١).

المهم أن القرآن الكريم هو المحور الأساسي الذي تدور حولـه الدراسة في الكتاب [1].

وتلاوة القرآن الكريم وحفظه مدرسة كاملة لتربية الروح :

- روى الطبريّ بسنده عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «من قرأ القرآن ثم رأى أن أحداً أوتيّ أفضل مما أوتيّ فقد استصغر ما عظمه الله تعالى».
- وروى البخاري بسنده عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «خيركم من تعلم القرآن وعلمه».
- وروى البيهقي عن أبي إمامة : "خيركم من قرآن القرآن وأقرأه لحامل القرآن دعوة مستجابة يدعو بها فيستجاب لـه".
- وفي حديث آخر: «إن شاء أعده لـه في الدنيا وإن شاء أخّرها إلى يوم القيامة».
- وروى الخطيب والديلمي في مسند الفردوس عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : «إذا أحب أحدكم أن يحدث ربه فليقرأ القرآن».
- وروى تمام عن أبي إمامة قال : قال رسول الله ﷺ : «اقرءوا القرآن فإن الله تعالى لا يعذب قلباً وعى القرآن».
- وروى الخطيب عن عبد الله بن مسعود، قال : قال ﷺ : «اقرءوا القرآن فإنكم تؤجرون عليه، أما إني لا أقول ألم حرف، ولكن ألف حرف بعشر ولام حرف بعشر وميم حرف بعشر فتلك ثلاثون، كل حرف بعشر حسنات».
- وروى أبو القاسم بن حيدر في مشيخته عن عليّ عن النبي ﷺ قال : «أهل القرآن أهل الله وخاصته».
- وروى الحاكم في تاريخه عن عليّ قال : قال رسول الله ﷺ : «حملة القرآن هم المعلمون كلام الله والملتمسون لنور الله من والاهم فقد ولى الله ومن عاداهم فقد

(١) انظر: معاهد التعليم الإسلامي؛ د. سعيد إسماعيل، ص ٨٥.

عادى الله».

- وكذلك روى الديلمي عن أبي إمامة قال : قال رسول الله ﷺ : «حامل القرآن حامل راية الإسلام من أكرمه أكرمه الله، من أهانه فعليه لعنة الله».
- وروى الترمذي وابن ماجه عن عليّ رضي الله عنه عن النبيّ ﷺ : «من قرأ القرآن فحفظه فاستظهره وأحل حلاله وحرم حرامه أدخله الله الجنة وشفّعه الله من أهل بيته كلهم قد استوجب النار».
- وروى ابن عساكر عن إبان بن أبي عباس قال : قال رسول الله ﷺ : «ما من رجل علم ولده القرآن إلا توج أبواه يوم القيامة بتاج الملك وكساهما حلتين لم ير الناس مثلهما».
- وروى البخاري عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : «من تعلم القرآن في صغره اختلط بلحمه ودمه ومن في كبر فهو ينفلت منه وهو يعود فله أجره مرتين».

والكتاتيب تحفظ القرآن بطريقة التلقين أولاً حتى يكون للسماع أثره في ثبات الحفظ وجودة التلاوة، أو بطريقة الكتابة على اللوح بلوح يكتبه ويقرأه على شيخه قبل أن يحفظه ويسمعه ثم يعيده ويثبته مرة بعد مرة، ولا تقتصر مبادئ الدين على حفظ القرآن الكريم فقط، وإنما يتعدى ذلك إلى دراسة أولية في الفقه والتفسير والسيرة النبوية وقصص الأنبياء والعقيدة، وهذا النوع من الدراسة بهذا الشكل يحتاج إلى ملازمة ا لفقيه أو العريف في كل تنقلاته وترحاله من مكان إلى آخر.

وهذا المنهج مع ملاءمته لتلك المرحلة له جوانب تربوية هامة منها :

الارتباط بين التلميذ وأستاذه حيث يشرب منه مبادئ العلم وأخلاقياته، واستقامة لسانه ولغته العربية عن طريق سماع شيخه وعن طريق القراءة والمناقشة، علاوة على أن هذه الطريقة القائمة على الصلة الدائمة بين التلميذ وشيخه تصقل عقلية الطالب مما يعطيه الثقة في نفسه فيؤدي دوره في الحياة غير منقوص [1].

(١) انظر مجلسة منار الإسلام؛ عددي ربيع الأول والآخر ١٤١٦هـ.

ثم يأتي دور الشيخ في متابعة ما حفظه التلميذ من القرآن فيما مضى بتسميعه حصة في صورة حزب أو جزء يومياً، وعندما يختم التلميذ حفظ القرآن يقيم والده احتفالاً شعبياً يحضره الأهل والأصدقاء ويعرف بالختمة. أما عقاب من لا يحفظ أو يهمل في ذلك الضرب بالعصا والفلكة، وقد بدأ هذا النظام يختفي ونوصي بتعليم القرآن بطريقة جماعية وليس منفردة ونبدأ في الحفظ بقصار السور من نهاية القرآن من جزء عم ثم تبارك ثم جزء قد سمع، وهناك دعوة إلى إنشاء مدارس تفهيم للقرآن الكريم بدلاً من تحفيظه حالياً، وذلك ليلقن التلاميذ بدلاً من الحفظ الجاف [1].

وعموماً نقترح في المرحلة الأولى ما قبل المدرسة (الروضة) وهي قسمان:

أحدهما: من ١٨ شهراً حتى ثلاث سنوات وتخصص كلها تماماً للتعليم عن طريق اللعب وحفظ بعض الأناشيد الدينية مثل واحد الله هو ربي اثنان هما أبي وأمي..

والثانيـــة: من سن الرابعة وحتى الخامسة وفيها يتعلم الطفل الوضوء والصلاة ومبادئ العقيدة وقواعد السلوك الإسلامي مثل آداب الأكل والطعام وحفظ بعض الأدعية : مثل دعاء السفر ودعاء دخول البيت ودعاء الخروج منه، وفي المرحلة الابتدائية من السادسة حتى الثانية عشرة يتعلم الطفل : القراءة والكتابة ومبادئ الحساب والدين ويتم تأكيد الإيمان والتوحيد.

* * * * *

(١) الوعي الإسلامي؛ ٤٣٢، ص ٦٠.

د) دور المدرسة.. أو المعهد
في تربية النشء وبناء المجتمع (في التكوين الثقافي)

لفظ المدرسة من الألفاظ المولدة المشتقة عد العرب من الفعل (درس).

أما فنياً فالمدرسة هي مكان لتدريس عدد معين من الطلاب على أيدي أساتذة مخصوصين مواد دراسية معينة ذات مستوى معين، ولها منهاج محدد، والدراسة فيها منظمة ومنتظمة لتوجيه حياة الناشئين ومساعدتهم على مواجهة ظروف الحياة في المجتمع، وذلك في ضوء ما اختاره هؤلاء الأقراد من قيم وأنظمة ومعارف.

والثابت أن التعليم الإسلامي لم يعرف المدرسة بمعناها الفني والاصطلاحي إلا بعد أكثر من ثلاثة قرون من ظهور الإسلام، ويقال أن نظام الملك الوزير السلجوقي هو أول من بنى المدارس في العصور الإسلامية، وبالتالي فإن أول ظهور لها هو عام ٤٥٩هـ (١٠٦٧م).

وقيل أن أقدم ما عرف من نشأة المدارس فهي المدرسة الصادرية (٣٩١هـ).

وعموماً فالمدرسة هى مؤسسة تربوية تعني بنقل التراث الإسلامي، ونشر الثقافة الإسلامية، والابتكار والتجديد العلمي والتماسك الاجتماعي..

ومهمة المدرسة في هذا العصر مهمة صعبة، حيث تكمل مهمة الأسرة الأساسية، ولذا ينبغي أن تعمل المدرسة على التواصل مع الأسرة والمحافظة على دورها لتكون الحلقة الأساسية في التربية وليكون التعاون بين المدرسة والأسرة تعاوناً عملياً لأن تخلف دور الأسرة أو غياب فاعليتها يؤدي إلى انعدام التعاون بين المدرسة والبيئة [1].

فالمدرسة مؤسسة اجتماعية تضم فريقاً من المختصين في التربية وذات أهداف ونظم واضحة تنقل حضارة الأمة وثقافتها للأجيال الناشئة بتربية النشء وتعليمهم للنمو

(١) دور المدرسة في تربية النشء وبناء المجتمع، د. علي بن مرشد، ص ٢٤ - ٢٨.

السليم في الحياة وتشكيل شخصياتهم واكتشاف مواهبهم وتنمية قدراتهم، علاوة على تكوين عاداتهم وقيمهم.

والمدرسة كذلك تمثل بيئة اجتماعية ومؤسسة تربوية تضم عناصر أساسية هي :

المتعلم والمعلم والمنهج وما يتبعه من خطط دراسية ومقررات والبيئة المدرسية والإرشاد والتوجيه والإدارة..

وكل عنصر من هذه العناصر لـه تأثيره ودوره في العملية التربوية وهذه التأثيرات تتضافر وتتعاون لتحقيق أهداف المدرسة عموماً.

إن عملية التربية هي عملية خلقية هدفها الأول الارتقاء بشخصية الفرد وخبرة الجماعة والسعي لتحقيق الكمال الخلقي والنضج الشخصي.

ومن هنا يأتي دور المدرسة في التربية في الاهتمام بعلم الأخلاق وغرس القيم التي هي أساس من الأسس التي تبني شخصية الإنسان وبالتالي يبنى عليها المجتمع المسلم.

ودور المدرسة في غرس العقيدة الإسلامية في نفوس الناشئة كبير وهو مطلوب تحقيقاً لقوله تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾ [الذاريات: ٥٦ - ٥٨].

وتعويدهم على حب عمل الصالحات وفعل الخيرات ليعمروا الأرض وينفعوا الناس بعلمهم الذي تعلموه.

وتبرز شخصية المعلم التي غالباً ما تطبع على تلاميذه لأنه القدوة لهم، فهو صاحب رسالة ومثل أخلاقية فيجب أن يكون على خلق قويم ملتزماً بالسلوك الطيب والخلق الحميد، فضلاً عن علمه الواسع.

وفيما يؤخذ على مؤسسات التعليم في مجتمعاتنا ظاهرة انصراف الطلاب عن مادة التربية الإسلامية وهي التي تشكل الفرد وتصنعه في ضوء مثل عليا وقيم سامية وتحميه من الانحراف وتعرفه طريق الهدى والرشاد وتحبب إلى نفسه حميد الخصال وفعل

الخيرات، وفي هذا تماسك المجتمع وقوته.

في هذا الوقت الذي نحتاج فيه إلى أن يتربى شبابنا على الدين الإسلامي وأن ينشئوا على مبادئه وأن يتخلقوا بخلقه حتى يستطيع مواجهة التيارات المادية والانحلالية التي تموج بها الحياة من حولنا، وحتى يمكنهم أن يتحصنوا بالدين وأن يصمدوا أمام التحديات التي يلقي بها أعداء الإسلام كل يوم في وجه المسلمين.

وتبدو هذه الظاهرة الخطيرة في مدارسنا في غياب الطلاب عن حصص الدين وفي استهتارهم بمقررات ومناهجه والإهمال في حفظها واستعيابها، وعدم الانخراط في أنشطتها كجماعة الخطاب وقراءة القرآن، حتى أصبح ما يتعلمه التلاميذ في دروسه لا يكسب الطلاب السلوك الذي يريده الإسلام وخلطه القيم الأصيلة بالقيم الدخيلة.

وحتى يمكن إعداد المتعلم بالقيم الموجهة للسلوك والضابط للسلطة الذاتية فإننا نقترح هنا :

في المرحلة الإعدادية : والتي تبدأ في سن الثالثة عشرة غالباً، وفيها يستمر تأكيد الإيمان الديني بمخاطبة العقل وتنمية الشخصية وبناء الجسم وتغذية العقل بالمعرفة، واكتساب المهارات اليدوية الأساسية وفهم المراهق نفسه ومجتمعه وعالمه وعلاقته بها بالمعاملات كما شرع الله والتي تشكل المعايير الخلقية التي تحكم السلطة الذاتية في ضوئها، وهي معايير مستمدة من قيم الدين ومثله.

أما في التعليم الثانوي : نطالب بأن تأخذ مدرسة المستقبل بنظام المدرسة الشاملة التي تجمع بين الجانب الثقافي، والإعداد المهني والتعليمي الديني، وتنقسم الدراسة إلى أكثر من شعبة ولا تقتصر على الشعبتين العلمية والأدبية فقط، وإن التشعيب المقترح كالآتي في التعليم الثانوي :

– **شعبة عامة** : القسم العلمي - والقسم الأدبي

– **شعبة فنية** : زراعي - صناعي - تجاري - نسرى

– **شعبة دينية** : قسم للعقيدة - وآخر للحديث وثالث للفقه - ورابع للقرآن وعلومه..

حيث تكون السنة الأولى عامة، ويبدأ التشعيب من الصف الثاني إلى ثلاث شعب، ويبدأ التخصص في الصف الثالث كما هو موضح، وينبغي أن تكون بعض المقررات اختيارية، وبعضها إجباري وبالأخص التربية الدينية واللغة العربية والقرآن.. وأن تتفتح أنواع التعليم بعضها على بعض في كل الاتجاهات بلا حواجز أو حدود.

* * * * *

(هـ) وسائل الإعلام

هناك ثلاث مؤسسات تربوية كما رأينا : هي الأسرة والمسجد والمدرسة تشكل شخصية الطفل في مجتمعاتنا.. ولكل منها دوره المؤثر في أبعاد شخصيته : العقلية والروحية.

ومن المعلوم أن مسئولية البيت تتركز على التربية الجسدية وتدريس المبادئ الخلقية والسلوكية وبعض المهارات العقلية عن طريق التوجيه والحوار والقدوة التي يجسدها الوالدان تجاه الطفل بل والمتابعة والمراقبة لهما حتى في اختيار أصدقائه.

والمسجد: تتركز رسالته بالدرجة الأولى في التربية الروحية، فعطاء صلاة الجماعة والاصطفاف فيها لا فرق بين غني وفقير وأمير وخفير، وفيوضات قراءة القرآن الروحية والنورانية، وتجليات الرحمة الإلهية على رواد المسجد لا تنقطع ولا تنتهي.

فقد روى الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «**ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلونه ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده**».

أما المدرسة: فمهمتها - كما هو معروف - يتمحور حول التربية العلمية والعقلية والثقافية واستكمال بناء الشخصية من خلال مناهج تعليمية ومدرسية تربوية.

فهلا حققنا لهذه المؤسسات التربوية الثلاث التواصل والتنسيق بينها ليتكامل التيار.

بناء الإنسان الذي وصفه أحدهم بقوله : إن بناء المصانع أمر سهل ميسور.. لكن الشيء الصعب هو بناء الإنسان. إن الإشكالية الأساسية تكمن في التناقض بين المناهج المأخوذ بها في مدارس عالمنا العربي وأغلبها علمانية ومنهج المسجد ومنهج البيت.. ثم إن مجهودات هذه المؤسسات وتوجيهاتها تكاد

تتحطم على صخرة عتيدة هي وسائل الإعلام.

والإنسان مدني بطبعه يؤثر ويتأثر، وبقدر ما يعرض على منافذ الحس والإدراك من سمع وبصر يكون مقدار التأثير، ومرحلة الطفولة المتأخرة مرحلة خطيرة لقربها من مرحلة المراهقة لأنها مرحلة شديدة التأثر والالتقاط، فهي مرحلة النمو السريعة في كل الجوانب من سلوكية ولغوية وعاطفية، وللمجتمع المحيط بالطفل تأثيره في نموه واتجاهاته وخاصة ما يقع أثره على الجوانب السلوكية.. والكارثة أن أوقات الفراغ عند الأطفال والمراهقين مسخرة فقط للتليفزيون.

وفي أيامنا غزت المجلات الخليعة بيوتنا من الميكي ماوس إلى البوكيمون أي من الفأر الأمريكي إلى الدب الياباني.. ولا نخفي رؤوسنا في الرمال ونتعامى عما يعرضه التليفزيون من برامج يطلق عليها ترفيهية، ومنها أفلام العنف التي يعرضها التليفزيون، فإذا بأطفالنا يقلدونها ويستوعبونها ويتقمصون ما فيها من عنف، وكذلك ما تقوم به الفضائيات ونحن نعيش عصر القرية الواحدة، فتقوم بالبث المباشر الذي قد يستهدف العقيدة والنيل من القيم الإسلامية الغالية.

ويرى بعض خبراء الإعلام [1] أن دور الأسرة بدأ يتراجع عما قبل بسبب الغزو الإعلامي، بل إن هناك معركة قائمة اليوم بين الأسرة ووسائل الإعلام وإن كافية خفية لا يعرف أحد مداها، ولنا أن نتمثل قول الشاعر:

متى يبلغ البنيان يوماً تمامه ::: إذ كنت تبنيه وغيرك يهدمُ

فإن أجهزة الإعلام كما يقول الدكتور محمود عمارة تهدم في ساعة ما يبنيه الدعاة في عام [2].

ويقول : إن الواعظ معذور إذن أمام هذه المفارقات، بل أقول أمام هذه التحديات،

(١) انظر: مجلة الوعي الإسلامي؛ العدد ٣٢٨، ص ٦٣ - ٦٥.
(٢) انظر: نحو أسلوب أمثل للدعوة الإسلامية؛ د. محمود عمارة، ص ٢٣٩.

ومن هذه البرامج يعرضها التليفزيون الموضة في الأزياء، وقص الشعر، ولبس الباروكة، وألوان المساحيق، ومذاهب الرقص باسم الفن الرفيع.. إلى غير ذلك من هذا الغزو الوافد والحضارة الغربية.. فيرى الناشئ هذا في بيوتنا ساعات وساعات، ثم نتساءل : أين دور الدعاة ؟ أين ذهبوا في مجتمعنا ؟ ونتذكر قول الشاعر :

ألقاه في اليم مكتوفاً وقال له ::: إياك إياك أن تبتل بالماء

وللأسف فإن الميزانيات الضخمة مرصودة لمثل هذه البرامج ترويجاً لها بطبيعة الحال، بينما تندب البرامج الدينية حظها، والتي هي متواضعة في أغلب الأحيان.

ومرة أخرى : كيف يبلغ بناء الواعظ تمامه.. إذا كان التيار كاسحاً على هذا النحو، وكانت إمكاناته مع ذلك ضعيفة إلى هذا الحد ؟ (١)

إن الإعلام العلماني يخاطب الفئة الضعيفة واللامبالية في المجتمع بأسلوب تافه ومبتذل لأنه لا يرتكز على أسس عقائدية أخلاقية ذات مبتغى وهدف بناء، وإنما يسعى فقط لإيصال ما يريد إلى جمهوره حتى وإن كان الأسلوب غير أخلاقي، فارغ المحتوى، وغاية ما يطلبه هو أن يؤثر على مستمعيه بأية صورة كانت.

لكننا - ونحن في عصر السماوات المفتوحة والفضائيات - نريد إعلاماً إسلامياً يرى الأحداث والقضايا والأخبار والعلاقات من منظور إسلامي وإبلاغ الناس دعوة الله بما جاء به القرآن ورسخه رسول الإسلام يعمل على تسخير الوسائل والأساليب الإعلامية من أجل بيان الحقائق الإسلامية ويصل إلى قلوب الجماهير بالحكمة والموعظة الحسنة.

ويعمل على غرس الثقافة في النفوس ويصون المفاهيم الإسلامية من التحريف ويؤصلها من أجل الحفاظ على هويتنا.. تبليغ رسالة الإسلام وتوضيح صورته.. وتعبئة الأمة الإسلامية بالمعنويات، ويرد على شبهات المشككين في الإسلام، ويربط بين الدين والحياة ويبين أنهما جزء لا ينفصلان، ويعمل على

(١) نفس المرجع؛ ص ٢٤١.

بث الفضيلة ومحاسن الإسلام، والتنشئة الاجتماعية السليمة للأطفال، وإشاعة العلم الشرعي والفقه الإسلامي، وتوجيه الأمة الإسلامية إلى الوحدة الإسلامية.

ولن يتأتى ذلك إلا من خلال : المصداقية، والأصالة، والمعاصرة، والحكمة في الدعوة، والدعوة على بصيرة، وإحاطة تامة بالفكر الإسلامي، واستيعاب الوسائل الإعلامية للتكنولوجيا وأهم تقنيات العصر.

إننا ونحن نعيش في عصر ثقافة العولمة، عصر المبالغات بالصوت والصورة من أجل تبليغ وتغليب الأفكار، وإننا لم نتسلح لمواجهة الآلة الإعلامية الدولية الجبارة، فإننا سنخسر، ونخسر كثيراً أمام وسائل الإعلام المنظورة والتي تضخ من خلالها سيولاً متدفقة من ثقافة أصحابها وقيمهم الهابطة، ثقافة الإلحاد والجنس، وقيم رأس المال [1].

فهل من مجيب ؟! نحن نريد أن نكون ونتحاور مع الحضارات بإعلام إسلامي وإلا فسوف لا نكون [2].

* * * * *

(١) مجلة منار الإسلام: رمضان ١٤٢٣هـ ص ٦ - ٩.
(٢) نفس المرجع: صفر ١٤٢٧هـ ص ٩٢.

المقصد الثاني:

المرحلة الثانية: مرحلة التحصيل والتأهيل النظامي بالجامعات

في مصر مثلاً أعرق جامعة عرفها التاريخ هي جامعة الأزهر [1]، فكلياتها المتخصصة في علوم القرآن والقراءات بطنطا، وكليات أصول الدين والدعوة الإسلامية بالقاهرة وأسيوط وطنطا والمنوفية والمنصورة بها أقسام: التفسير والحديث والعقيدة والفقه وعلوم الدعوة والإرشاد، وتمنح درجة الليسانس (العالية) بعد دراسة منتظمة أربع سنوات يستوعب طالب العلم فيها العلوم الشرعية وغيرها من العلوم اللازمة لإعداد الداعية وتثقيفه الثقافة المناسبة، وإن كان ينقصها مقرراً في الثقافة العلمية وآخر في الاقتصاد الإسلامي..

يلتحق بها الطالب بعد اختبار ومقابلة شخصية يتم التأكد فيها من صلاحية الدعوة والتعرف على إمكانياته عن طريق اختباره في القدرة، والوقوف على حسن مظهره، وسرعة بديهته، وتوافر حد أدنى عنده من أساسيات العلم والثقافة الدينية، وتوافر حد أدنى كذلك من قوة الشخصية وحسن السلوك.. وحفظ القرآن كاملاً أو على الأقل القدر الأكبر منه، وحفظ جملة من الأحاديث النبوية في العبادات والمعاملات والأخلاق، ووجود ميول أو رغبة في العمل في حقل الدعوة. [2]

ويا حبذا لو صاحبت الطالب أثناء فترة دراسته ومراحل إعداده بطاقة، تفيد تقدمه في دراسته وسلوكه وقد أحسنت الجامعة صنعاً عندما جعلت الامتحان في حفظ القرآن تحريرياً وشفهياً طوال سنى الكلية، يخص كل سنة من سنوات الدراسة ربع القرآن؛ حيث يمتحن الطالب في الربع الأول للقرآن، وفي السنة الثانية في نصف القرآن، وفي السنة الثالثة في ثلاثة أرباعه، وفي السنة الرابعة في حفظ القرآن كله. كما أعادت الجامعة إلى صحن الأزهر التحلق حول أعمدته ودراسة كتب التراث باسم كلية الدراسات الإسلامية والعربية.

---

(١) انظر: الأزهر جامعاً وجامعة؛ محمد كمال السيد، ص ٢٠٨.

(٢) انظر مجلة: منبر الإسلام؛ صفر ١٤٢٦ هـ، ص ٩٥.

هذا واستعانت وزارة الأوقاف الإسلامية بخريجي كليات اللغة العربية والشريعة والقانون والدراسات الإسلامية والعربية ودار العلوم من خطبة الجمعة، وكذلك حملة الماجستير والدكتوراه من هذه الكليات من اعتلاء منابرها وخطب الجمعة.

وفي بلاد المغرب وتونس يقوم جامع الزيتونة منذ عام ١١٤هـ والقرويين في فاس (٢٤٥هـ) بمجهود يشكر في إعداد الدعاة.

وفي المملكة السعودية تقوم كلية الدعوة والإعلام الإسلامي وكليات أصول الدين وكلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية وكلية الحديث الشريف وكليات الشريعة وكليات اللغة العربية بكل من جامعة الملك سعود التي أنشئت عام ١٣٧٧هـ، وجامعة الإمام حمد بن سعود الإسلامية التي أنشئت عام ١٣٧٣هـ، وجامعة الملك عبد العزيز التي أنشئت في عام ١٣٧٨هـ، وجامعة أم القرى التي أنشئت عام ١٤٠١هـ، والجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة التي بدأ في إنشائها عام ١٣٨١هـ.. ولهذه الجامعات فروع في كل من :

دولة الإمارات العربية المتحدة - موريتانيا - إندونيسيا - اليابان - جيبوتي - الولايات المتحدة الأمريكية.

ويتلقى جميع طلاب الجامعات مكافآت شهرية ويوفر لهم السكن والكتب والرعاية الصحية، بالإضافة إلى وسائل النقل من وإلى بلدانهم التي يأتون منها، وذلك مساهمةٌ في إعداد الدعاة إلى الله.

* * * * *

(ب) معاهد إعداد الدعاة

حيث قامت جماعة أنصار السنة المحمدية، وكذلك الجمعية الشرعية العاملين بالكتاب والسنة بإنشاء معاهد إعداد الدعاة مدة المعهد أربع سنوات دراسية حيث تقبل أصحاب المؤهلات المتوسطة (الثانوية العامة والدبلومات المختلفة) لدراسة العلوم الشرعية من الكتب الدراسية التي تختارها بمعرفتها، ومعظمها من المتون وكتب التراث التي ترشحها كل جماعة منها، وتعتمد خطتها الدراسية من رئيس القطاع الديني بوزارة الأوقاف المصرية [1].

وتقوم كل جماعة بتنفيذها بمعرفتها وليبلغوا درجة الدعاة، **وحيث تكون دعوتهم إلى الله على بصيرة ويجعل أحدهم كحد أدنى مستوعباً لهذه الصفات :**

- أن يكون قوي الصلة بربه وقدوة لغيره آمراً بالمعروف، ناهياً عن المنكر، قادراً على الجهر بكلمة الحق.
- أن يقصد بما يقدمه من أعمال وجه الله والدار الآخرة وأن يبتعد عن الرياء والمجاملة في الحق، زاهداً مما في أيدي الناس.
- وثيق الصلة بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ دراسة وتأملاً واستنباطاً وعملاً.
- أن يكون على مستوى المسئولية والكفاية العلمية، ذا حجة قوية وأسلوب مقنع.
- أن يكون حسن التلاوة لكتاب الله عالماً بأحكام تجويده.
- أن يكون ثروة هائلة من النصوص واللغة.

لذلك يتم انتقاء الطلاب المتقدمين على أساس حسن المظهر وإتقان حفظ القرآن الكريم، والإلمام ببعض الأحاديث النبوية، وكذلك السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي والفقه، المشهود له بالتقوى والاستقامة. وهؤلاء يتم تزويدهم علماً بثقافة الداعية خلال سنوات الدراسة الأربع.

---

(١) مقابلة خاصة مع الأستاذ فتحي عثمان؛ وكيل جماعة أنصار السنة والمشرف العام على معاهد إعداد الدعاة بالمركز العام يوم ٢٠٠٧/١١/١١م..

أما المنهج العملي فيتضمن :

- التدريب على فن الخطابة وأساليبها وكيفية الإعداد للخطبة وكيف يلقيها وأن يتم التدريب تدريجياً.
- لا يمكن من خطبة الجمعة حتى يدرب عليها في أكثر من موضع، وبعد أن يمر بالتقويم والإصلاح.
- أن يدرب لسانه على النطق الصحيح للكلمات والجمل والحرص على المحافظة على الإعراب حتى يستقيم لسانه على ذلك.
- يجب أن يشمل المنهج العملي الملاحظة على جوانب السلوك والأخلاق والاستقامة على الطريق السوي حتى يكون الخطيب الإمام قدوة لمن يراه ويسمعه ويحتك به[1].

* * * * *

(١) انظر: المسجد وتأهيل الإمام؛ عبد الله قاسم، ص ٣١١ - ٣١٢.

(ج) المراكز الثقافية التابعة لوزارة الأوقاف

ومدة الدراسة بها سنتان، ويختار الطلاب من المتقدمين لها على ألا يزيد السن عن ٥٠ سنة، وأن يكون حافظاً على الأقل لخمس أجزاء من القرآن (أي خمسة أجزاء)، ولديه ثروة من الثقافة الدينية وأن يكون حاصلاً على مؤهل عال بشرط أن يكون غير أزهري.

وتوزع المقررات على السنتين الدراسيتين، وبعد اجتياز النجاح فيهما يقضي فترة تدريبية مدتها شهر يشرف عليه فيها قادة من القيادات العاملة بوزارة الأوقاف يومين من كل أسبوع خلال هذا الشهر يدرب فيها البنون على المحاضرات وإلقاء الخطبة والدرس، أما السيدات فيدربن فيها على المحاضرات والدرس، والجدول الآتي بعد يوضح خطة الدراسة.

ونعتقد أن مما يزيد في نفع معاهد إعداد الدعاة :

- أن يقوم بينها تعاون مثمر.
- أن تزود هذه المعاهد بوسائل جديدة ومكتملة.
- أن تنشأ حركة رحلات متبادلة بين طلبة تلك المعاهد للتعرف على الوطن والتدريب على الدعوة فيه.
- أن يعمل فيها علماء صالحون ودعاة عاملون.
- أن تنصفهم الدولة بعد تخرجهم مالياً.

* * * * *

وزارة الأوقاف

الإدارة العامة لمراكز الثقافة الإسلامية

المنهج الذي اعتمده معالي الأستاذ الدكتور الوزير في ٢٠٠٧/٥/١٧

المادة	عدد الساعات	السنة الأولى	المادة	السنة الثانية
التفسير وعلوم القرآن	٦٤	سورة محمد، الفتح، الحجرات، النجم، القمر، المجادلة، الواقعة، الطلاق	التفسير وعلوم القرآن	تفسير سورة النساء كاملة من ص (١) إلى ص (١٦٤)
مدخل في علم التفسير		من ص (١) إلى ص (٨٤)	مدخل في علم التفسير	من ص (١٢٧) إلى ص (١٨٤) من ص (٢٣١) إلى ص (٢٣٧)
الحديث وعلومه	٦٤	الكتاب كله مقرر (خمسون حديثاً)	الحديث وعلومه	خمسون حديثاً من ص (١) إلى ص (٢٦١) من ص (٢١٨) إلى ص (٢٥٤)

المادة	عدد الساعات	السنة الأولى	المادة	السنة الثانية
الوجيز في علم الحديث		المقرر من : ص (٧) إلى ص (١٩) من ص (٢٣) إلى ص (٧١) من ص (١٠٣) إلى ص (١١٤)	الوجيز في علم الحديث	المقرر من : من ص (١١٦) إلى ص (١٢٤) من ص (١٣٧) إلى ص (١٤١) من ص (١٤٩) إلى ص (١٥٤) من ص (١٥٦) إلى ص (١٦٠) من ص (٢١٧) إلى ص (٢٣٦)
فقه العبادات	٦٤	الطهارة - الغسل - الصلاة - الزكاة - الصوم - الحج من ص (١) إلى ص (٢٥٣)	فقه الأسرة	الكتاب كله مقرر مع حذف من ص (١٠٩) إلى ص (١٣٠) وهي المحرمات من النساء
			مذكرة في علم المواريث	المذكرة كلها مقررة وهي مكملة لكتاب فقه الأسرة من ص (١) إلى ص

المادة	عدد الساعات	السنة الأولى	المادة	السنة الثانية
				(١٠٨)
النحو	٣٢	الكتاب كله مقرر	النحو	الكتاب كله مقرر
تاريخ تشريع	٣٢	الكتاب كله مقرر	أصول الفقه	الكتاب كله مقرر
السيرة النبوية	٣٢	صور من حياة الرسول (ص) في مكة الكتاب كله مقرر	السيرة النبوية	صور من حياة الرسول (ص) في المدينة الكتاب كله مقرر
تاريخ المذاهب	٣٢	الكتاب كله مقرر	تاريخ الأديان	كتاب (الدين) الكتاب كله مقرر

* * * * *

(د) إعداد الداعي ذاتياً

وهناك أمثلة لدعاة أعدوا أنفسهم للدعوة بجهود ذاتية، حيث رأى في نفسه الكفاءة والموهبة وأتقن وسائل الدعوة مثل أبو الحسن الندوي وابن باديس..

يقول الله تعالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾ [يوسف: ١٠٨].

والبصيرة : إشراقة الروح، وينشأ ذلك عن علم ممتزج بالتقوى.

فالعلم وحده ليس كافياً، والتقوى ليست وحدها كافية، بل لابد من امتزاجهما معاً.

وعندما تتشبع روح الداعية بحقائق العلوم وأسرارها ويحسن صلته بالله ويخلص نيته لوجه، فقد تكونت بصيرته واستنارت بنور الله: ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ ﴾ [البقرة: ٢٨٢]. وتعد التقوى زاد الداعية التي يبلغ بها أعلى الدرجات، **ولكي يصل الداعية إلى درجة التيقن يجب عليه أن :**

- يعاهد نفسه على فعل الخير وترك الشر، ففاقد الشيء لا يعطيه.
- يراقب نفسه في خطواتها مراقبة ذاتية دقيقة.
- يحاسب نفسه من آن لآخر حتى يستدرك خطأه.
- يجاهد نفسه حتى يصل بها إلى ترك المعصية تماماً.

وإذا كان الإسلام أراد من أتباعه أن يكونوا دعاةً، فقد أمرهم بالتفقه في الدين أولاً ثم ينذروا ثانياً، كما جاء في الآية ١٢٢ من سورة التوبة حيث قال الله تعالى: ﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ ﴾ [التوبة: ١٢٢].

إن البصيرة دقة الفهم للدين والدنيا معاً.. يقول الشيخ محمد الغزالي رحمه الله :

ولا يكون الداعية بصيراً إلا إذا جمع بين أمرين :

الأول : ثروة طائلة من نصوص الكتاب والسنة لتكون رصيداً عنده لأي داء وافداً ومرض عارض.

الثاني : إحاطة تامة بطبيعة البيئة وأحوالها ومتغيراتها.

فإن لم يجمع بين الأمرين فلا يصلح أن يكون داعية [1].

وفيما يلي بعض العلوم الضرورية التي لا غنى للداعية عنها :

[١] القرآن الكريم وعلومه :

- لابد من اقتران الحفظ بحسن الترتيل، فلا يغني أحدهما عن الآخر، ويحسن بالداعية أن يكون ملماً بأحكام التجويد عملياً ونظرياً بالقدر الذي يعينه على تعليم جمهور مسجده أحكام التلاوة.
- المطالعة المستمرة في كتب التفسير المختلفة، وبخاصة كتابي ابن جرير والطبري وتفسير ابن كثير.
- دراسة كتاب في علوم القرآن ليكون على بينة بأسباب النزول والناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه.. الخ، ويفيد في ذلك بعض المصاحف المطبوع على هامشها أسباب النزول والناسخ والمنسوخ ومعاني الكلمات.

[٢] السنة النبوية وعلومها :

- بحيث تكون لديه الحصيلة الكافية من الأحاديث التي يستشهد في المناسبات والأحداث المختلفة، ويحسن به دراسة مختصر صحيح البخاري ومختصر صحيح مسلم ورياض الصالحين وأذكار النووي وشمائل الترمذي.
- يحفظ الحديث ليرويه كما جاء في كتب السنة ويوضح درجته ويعرف مفرداته ولغوياته وأن يعرف ما يدل لديه حتى يستطيع أن يستشهد به في موضعه [2].

[٣] أصول التوحيد والعقيدة :

من الكتاب والسنة النبوية ويحسن أن يتعلم أصول العقيدة من كتاب معتمد مختصر على مذهب أهل السنة والجماعة ككتاب (لمعة الاعتقاد لابن قدامه) أو (العقيدة الواسطية لابن تيمية) ونحوها.

---

(١) انظر: مع الله؛ الشيخ محمد الغزالي.

(٢) انظر: دليل الإمام إلى تجديد الخطاب الديني؛ ص ٣٦٢.

[٤] علم الفقه :

- أن يدرس مختصراً في فقه العبادات والمعاملات وما يحتاجه من أبواب وليعلم أن التمذهب ليس بلازم شرعاً، مع التعرف على أحكام الحلال والحرام في المأكل والمشرب والملبس والزينة والبيت والعمل وعليه مصاحبة كتاب الإجماع لابن المنذر فهو عونه فيما أجمع عليه الفقهاء في العبادات والمعاملات.

[٥] علوم مكملة :

- فيلم بالسيرة النبوية والتاريخ الإسلامي من كتب ميسرة مثل : تهذيب سيرة ابن هشام، ومن الكتب المعاصرة مثل الرحيق المختوم للمباركفوري ومطالعة سير الخلفاء والعلماء الصالحين (فإنما ترق القلوب بذكر الأحاديث وأخبار السلف الصالحين)[١].
- ومن العلوم اللازمة مفاتيح العلوم مثل أصول الفقه للمبتدئين للأشقر، وتيسير مصطلح الحديث للطحان، ومباحث في علوم القرآن للقطان، وفي أصول التفسير مقدمة ابن تيمية، وذلك بحسب الطاقة.
- ومن العلوم المكملة : علوم اللغة والأدب، فيدرس مختصراً في النحو كالأجرومية، وكتاب البلاغة الواضحة لعلي الجارم..
- وأيضاً الثقافة العامة ليشعر الجمهور أن محدثهم مثقف من ناحية، ومن ناحية أخرى يعيش همومهم وآمالهم، مما يكون له أعظم الأثر في نفوسهم، مع قراءة كتاب في أصول الدعوة والخطابة وكيفية إعدادها وإلقائها، وتعلم اللغات عند الحاجة.

وهنا يُطرح سؤالٌ تجب الإجابة عنه وهو : كيف يستطيع الداعية أن يحصل هذه العلوم وهو لم يلتحق أصلاً بأي تعليم رسمي ؟ وأي الطرائق أنفع له ؟

والجواب عن هذا السؤال يختلف باختلاف الحال :

---

(١) صيد الخواطر؛ ص ١٩٧.

أ- إما بالتلقي والسماع من شيوخ علماء ثقات في علمهم وتقواهم وحسن فهمهم للدين والواقع معاً، فقد روي عن مالك ومحمد بن سيرين أنه قال : إنما العلم دين فانظروا عمن تأخذون [1].

ب- التعليم عن طريق القراءة، وقد قال أحد الحكماء : أخبرني ماذا تقرأ أخبرك من أنت ؟

ويضاف إلى ذلك في عصرنا شبكة الإنترنت وما تقدمه من معلومات عن الإسلام.

والأفضل أن يتم الحرص على التلقي عن الشيوخ كل في فنه، وألا يعتمد على الإطلاع المجرد وحده.

وقد قيل : "من كان شيخه كتابه فخطؤه أكثر من صوابه"، وصدق الشاعر حيث يقول:

يظن الغمر أن الكتب تهدي ::: أخا جهل لإدراك العلوم
وما علم الجهول بأن فيها ::: مدارك قد تدق عن الفهيم
ومن أخذ العلوم بغير شيخ ::: يضل عن الصراط المستقيم
وكم من غائب قولاً صحيحاً ::: وآفته من الفهم السقيم

لأن من شأن الأستاذ المرشد الناصح أن يقوم ببناء شخصية تلميذه ويعمل على تنمية عقله وتهذيب سلوكه وإعداد للتفاعل مع المجتمع وقضاياه الحية وأن يراعي في تدريسه مرحلة الطالب، فيقصد إفهام المبتدئ تصور المسائل وأحكامها فقط، وأن يثبتها بالأدلة إن كان العلم مما يحتج له عند من يستحضر المقدمات، وإما إيراد الشبه إن كانت وحلها فإلى المتوسطين والمحققين [2].

يقول ابن خلدون : " إن حصول الملكات عن المباشرة والتلقين أشد استحكاماً وأقوى رسوخاً، فعلى قدر كثرة الشيخ يكون حصول الملكات ورسوخها، فلقاء أهل العلم

(١) الفقيه والمتفقه؛ للبغدادي، ٢/٩٦.
(٢) انظر: بصائر ذوي التمييز؛ للفيروز أبادي، ١/٥١.

وتعدد المشايخ يفيده تمييز المصطلحات بما يراه من طرقهم فيها " [1]

وبالرغم من اتفاق العلماء على أن العلم الشرعي لابد لـــه من التلقي عنا لشيوخ إلا وجدنا أن مثل عليّ بن رضوان المصري (٤٥٣هـ) يدعو إلى الأخذ من الكتب مباشرة وأنها أوفق من التلقي عن الشيوخ وألف في ذلك كتاباً [2].

وقد رد عليّ ابن رضوان كثير من العلماء مثل الذهبي في سير أعلام النبلاء والصفدي في الوافي والزبيدي في شرح الإحياء، **ونخلص ردودهم فيما يلي** :

١- أن الذي يعتمد على الكتاب لم يسلم من التصحيف من اشتباه الحروف مع عدم اللفظ، فمثلاً ابن سينا لم يسلم من التصحيف، وقد اتخذ العلماء موقفاً من الفقهاء الذين يأخذون علمهم من الكتب لا من الشيوخ فقال أبو زرعة : " ولا يفتي الناس صحفي ولا يقرئهم مصحفي " [3]..

وقد رأى سلفنا الصالح حين قالوا : "لا تأخذ العلم من صحفي ولا القرآن من مصحفي" أي من الصحف والكتب وحدها.

٢- أن الذي يقتصر في علمه على الكتب يفتقد عنصر الاقتداء والتأثر بأخلاق العلماء وآدابهم وبالتالي لا يتورع، وقد قيل أن سلاطة لسان ابن حزم سبباً لذلك حتى قيل إن لسانه وسيف الحجاج شقيقان" [4]، سبب ذلك أنه لم يلازم الشيوخ ولم يتأدب بأدبهم[5].

٣- إن كتب السلف وتراجم العلماء مليئة بأسماء شيوخهم وسيرتهم مع من تلقوا عنهم، كما أن كتب أهل العلم طافحة بآداب الطالب مع شيخه مما يدل ذلك على بدهية ذلك عندهم.

- ومن ذلك تقديم طهارة النفس عن رذائل الأخلاق ومذموم الأوصاف؛ إذ العلم

(١) انظر: مقدمة ابن خلدون؛ ص ٤٩٨.
(٢) انظر: سير أعلام النبلاء؛ للذهبي، ١٠٥/١٨.
(٣) وفيات الأعيان لابن خلكان ٣٢٨/٣.
(٤) وفيات الأعيان لابن خلكان ٣٢٨/٣.
(٥) انظر: الموافقات؛ للشاطبي، ٩٣/١.

عبادة القلب وصلاة السحر.

- ومنها تقليل علائقه بالاشتغال بالدنيا والبعد عن الأهل والوطن، ومنها ألا تتكبر على العلم وألا يدخله العجب ولا يتآمر على المعلم، وأن يحترز عن الإصغاء، وألا يدع فناً من العلوم المحمودة إلا نظر فيه.
- أن لا يخوض في فن ما دفعة واحدة، بل يراعي الترتيب والتدريج فيبتدئ بالأهم، فإن العمر لا يتسع لجميع العلوم، فالحزم أن يأخذ من كل شيء أحسنه،ويصرف جمام قوته في الميسور في علمه إلى استكمال علم الآخرة، لأن البناء على غير أساس لا يبني والثمر من غير غرس لا يجني [1].. وهذا ابن خلدون يقول : "مفيداً التدرج في تلقين العلوم للمتعلمين شيئاً فشيئاً وقليلاً قليلاً " [2].
- وأن يكون قصد المتعلم في الحال تحلية باطنه وتجميله بالفضيلة وفي المآل القرب من الله سبحانه.
- ومنها أن يعلم أن نسبة العلوم إلى المقصد كما يؤثر الرفيع القريب على البعيد والمهم على غيره.. الخ [3].

والحقيقة أن الاعتماد الكلي في تلقي العلم على الشيوخ لا يصح، كما أن الاعتماد الكلي في تلقي العلم على الكتب لا يصح، ونرى أن يبدأ طالب العلم بالتلقي عن طريق الشيوخ، فإذا ما حصّل مبادئ العلم والوقوف على مسائله، فلا مانع بعد ذلك من الإطلاع بنفسه على كتب العلم الموثوقة، وقد فعل ذلك من قبل إمام الحرمين الجويني حينما درس علم الأصول على شيخه أبي القاسم الأسفرايني، وأبو حامد الغزالي تتلمذ على الجويني، والقراقي تتلمذ على العز بن عبد السلام.. وتتلمذ ابن القيم على ابن تيمية.. الخ، ثم أخذوا على الكتب، فجمعوا بين الحسنيين وكان عملهم أتم وأكمل.

* * * * *

(١) انظر: أدب الدنيا والدين؛ ص ٥٥٠.
(٢) انظر: مقدمة ابن خلدون؛ ص ٥٥٣.
(٣) انظر: نموذج من الأعمال الخيرية؛ ص ٤٥ - ٥٥.

المقصد الثالث :

المرحلة الثالثة : مرحلة الصقل والتنمية المهنية للدعاة

(أ) التوجيه.. وخاصة للدعاة المبتدئين

فهناك قيادات في وزارة الأوقاف مسئولة عن التفتيش والتوجيه وخاصة للدعاة المبتدئين لصقلهم، وعلى الدعاة المبتدئين تنفيذ هذه التوجيهات التي تفيدهم في مقتبل حياتهم والأخذ بيدهم، فالقصد من التوجيه هو نقل خبرات ناجمة بمعرفة الموجهين إلى من هو محتاج لها والأخذ بيد المبتدئ مثل :

أ) توجيهات في علم التفسير للقرآن :

- جمع الآيات المتشابهة في الموضوع الواحد وتصنيفها للاستشهاد بها في موضعها.
- الاهتمام بلباب التفسير والإعراض عن الحشو والاستطراد، والوصول إلى بيان المراد من كلام الله تعالى، فالداعية لا يؤثر في عقول الناس وعواطفهم بالمباحث النحوية والبلاغية والفقيهة وإنما يؤثر فيهم بما يلجيه من أسرار الحق وأنوار الهداية في كلمات الله.
- الإعراض عن الإسرائيليات : والذي بدأ تسربه في أول الأمر قليلاً على أيدي أمثال: كعب الأحبار ووهب بن منبه وغيرهما، ممن دخل في الإسلام من أهل الكتاب وإذا به الآن تكاد تطفح به بعض التفاسير، وقد أشرنا فيما سبق على أن الإسرائيليات على ثلاثة أقسام : الأول؛ ما يعلم صحته، والثاني؛ ما هو مسكوت عنه، والثالث؛ والأخطر وهو ما يعلم كذبه بأن يناقض ما عرفنا من شرعاً أو كان لا يتفق مع العقل، فهذا القسم لا يصح قبوله ولا روايته [1]، وقد نبه ابن كثير في تفسيره إلى ذلك.
- الحذر من الروايات الموضوعة والضعيفة، والتي دست على التفاسير مما أدى إلى

(١) انظر: التفسير والمفسرون؛ للذهبي، ص ١٧٨.

اختلاط الصحيح من الروايات بالقسيم منها، مثل تعبير الذبيح بأنه إسحاق بروايات وليس إسماعيل، ومثل قصة الغرانيق

- الحذر من الأقوال الضعيفة والآراء الفاسدة أو الشاقة والتأويلات مهما تكن مكانة قائلها، وقد قال عليّ كرّم الله وجهه : " لا تعرف الحق بالرجال، اعرف الحق تعرف أهله ".

ب) توجيهات في مجال السنة :

- الاهتمام بالسيرة النبوية وخاصة الجزء العملي من السنة.
- جمع الأحاديث في الموضوع الواحد وتصنيفها والحذر من وضع الأحاديث في غير موضعها.
- مقاومة حملة التشكيك في الأحاديث الصحاح مثل حديث الذباب.
- تجنب الأحاديث المشكلة على جمهور الناس لغير الضرورة.
- روى البيهقي في الشعب عن المقدام بن معدى كرب عن رسول الله ﷺ قال: «إذا حدثتم الناس عن ربهم فلا تحدثوهم بما يعزب أو يشق عليهم»، وقال ابن مسعود : "وما أنت بمحدث قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة" رواه مسلم.
- الحذر من الأحاديث الموضوعة والواهية بالاعتماد على كتب السنة الصحاح في أخذ الحديث، وقد اهتمت مجلة التوحيد التي تصدرها جماعة السنة المحمدية بمصر على تنقية الأحاديث منها وتحذير الدعاة من القصص الواهية التي ترد على ألسنة البعض مثل قصة ثعلبة على أنه منافق بينما كان من أهل بدر الذين قال عنهم الرسول ﷺ : «لعلّ الله قد اطلع على أهل بدر.. وقال لهم إني قد غفرت لكم».

ج) توجيهات في علم الفقه :

- المبالغة في تعليل العبادات بأمور دنيوية، مع أن العبادات مطلوبة طلب الغايات

والمقاصد لا طلب الأدوات والوسائل، فهي مراده لذاتها بغض النظر عما رواءها من منافع وثمرات، وقد رأى أبو حامد الغزالي أن من يصوم رمضان لفائدته الصحية لا يغرها فصومه فيه نظر.

- أو التعليل للأحكام الشرعية بأمر غير جامع ولا مانع مثل تعليل تحريم لحم الخنزير بأنه يأكل القاذورات ليس إلا.

- وإلا فحسب الداعية أن يقول أن الله لم يحل إلا طيباً ولم يحرم إلا خبيثاً: ﴿ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ ﴾ [الأعراف: ١٥٧]، ولم يشرع شيئاً إلا لحكمة علمها من علمها وجهلها من جهلها وعدم العلم بها لا ينفي وجودها فإن علمنا أعجز من أن يحيط بكل حكمة الله تعالى في شرعه أو في خلقه [1].

- الاقتصار على التعليلات المادية في تعليل الأوامر والنواهي، في الحج في نظرهم ليس إلا رحلة كشفية للتدريب على احتمال المشاق، والصيام في نظرهم إنما فرض لإراحة المعدة شهر في كل عام وهكذا.

د) دراسة العقيدة :

- أخذها من الكتاب والسنة وفق مذهب أهل السنة والجماعة مع الاهتمام بأدلة القرآن لإثبات معتقداته.

- أن نتبع منهج القرآن في مخاطبة العقل والقلب معاً من أجل تكوين الإيمان الصحيح وعدم الاعتماد على العقل فقط كما هو اتجاه الفلاسفة، وعلى القلب وحده كما هو اتجاه الصوفية، فشمول المنهج الإسلامي يقوم فيه الإيمان على إقناع العقل وانفعال القلب وصدق الإرادة.

- صرف الهمة إلى مشكلات العقل المعاصر والاشتغال بقضايا العقيدة الكبرى مثل وجود الله تعالى وتوحيده والقدرات والغض عن المشكلات التاريخية مثل خلق القرآن.

---

(١) انظر: ثقافة الداعية؛ القرضاوي، ص ٧٣.

- الاستفادة من ثقافة العصر فيما عرف بالإعجاز العلمي كما في كتاب الله يتجلى في عصر العلم ترجمة د.الدمرداش سرحان، والإسلام يتحدى لوحيد خان والله، والعلم الحديث لعبدالرزاق نوفل.
- أن تتبنى طريقة السلف في وصف الله تعالى بما وصف الله به نفسه من غير تكييف ولا تمثيل ولا تحريف ولا تعطيل وهي الطريقة التي انتهى إليها أساطين علم الكلام من الأشاعرة وغيرهم [1].
- تتبع شبهات المبشرين والمستشرقين والشيوعيين وغيرهم من خصوم الإسلام وتلاميذهم والرد عليها رداً علمياً فكرياً بلسان العصر.

هـ) توجيهات للدعاة في المجال التاريخي :

- اكتشاف العبر والعظة من حوادث التاريخ العديدة والاهتمام بها وإبرازها في المناسبات في أحاديثه.
- أن يكون ذا وعي بلفظ للوقائع التي تخدم موضوعه وتعمق فكرته وتقدم لها الشواهد الحية.
- أن يعتني بسير الرجال ومواقف الأبطال وبخاصة العلماء والدعاة والصالحين كقدوة صالحة.
- أن يهتم بربط الحوادث والوقائع الإسلامية تاريخياً بأسبابها وعللها المعنوية والأخلاقية.
- أن يكون محور التاريخ الإسلامي هو الإسلام نفسه دعوة ورسالة وأثره في تربية الأجيال وتكوين الأمة المسلمة.

هذه بعض نماذج من التوجيهات بغرض صقل الدعاة.

* * * * *

(١) انظر: نموذج من الأعمال الخيرية؛ ١٣١.

(ب) التدريب المهني للدعاة

والتدريب هو نوع من التنظيم والتعاون والتوعية، والمتابعة تهدف بمساعدة الداعي على أداء رسالته مع جماعة، ويقع غالباً على عاتق وزارة الأوقاف أن توفر تدريباً للدعاة والعاملين بها وإعادة تدريب تتناسب مع احتياجات الدعوة الإسلامية والدعاة ومشكلاتهم بغرض العمل على إيجاد حل لها ولمعوقات الدعوة، بغرض الارتقاء بكفاءتهم ورفع مستوى الأداء وتحسينه في حقل الدعوة وصقلهم وتدعيم مواهبهم.

وتوجد لهذه المهمة الهامة إدارة في الوزارة تسمى إدارة التدريب ووظيفتها تصميم وتنفيذ برامج التدريب والإشراف عليها وإعداد المواد التدريبية واختيار المدربين لهذه الدورات وجمع بيانات الدعاة المرشحين للتدريب في نهاية كل دورة تلقى تقارير وتقييم المدربين والاستفادة منها، ومراجعة نتائج التدريب واستخدامها في تحسين الدورات المستقبلية وإصدار النشرات التدريبية التي تحوي توجيهات تهم الدعاة في عملهم.

برامج التدريب ومراحله :

أ – **التدريب الفوري** : للعاملين الجدد والخريجين بمجرد التعيين للعمل في حقل الدعوة الإسلامية.

ب– **التدريب المرحلي** : كمحطات داخلية في سلم الترقي من إمام إلى إمام أول إلى مفتش إلى مفتش أول.

ج– **التدريب الدوري** : لاطلاع الدعاة على المتغيرات مثل : مكافحة المخدرات.. وختان البنات.

د– **التدريب المستمر** : من آن لآخر وإمدادهم بأحدث المعلومات والمستجدات في مجال عملهم مثل: رأي الإسلام في قضية زرع الأعضاء، وضرورة وتجديد الخطاب الإسلامي، ورأي الإسلام في قضايا الاستنساخ البشري.. الخ.

وقد أخذت وزارة الأوقاف في مصر بعمل مسابقة للدعاة في موضوع تطرحه؛ مثل دور الدعاة في النهوض بالأمة والخروج من مأزقها مما يدعوهم إلى البحث ويحفزهم

لذلك.

أهم قواعد التدريب :

ونوجز هنا أهم قواعد التدريب ليقوم عليها المنهج في التدريب ولتحدد بموجبها الوسائل والأساليب مع الواقع البشري المتجدد وليظل الجهد البشري ينمو علماً وخبرة وزاداً ووسائل وأساليب :

- دراسة القواعد النظرية في التدريب ووعيها حتى تتضح بشكل قوي وإعادة دراستها حتى يستطيع الداعية عرضها العرض الوافي السليم.
- تقديم المثل الصادق في ميدان التدريب والقدوة الناجحة والأسوة الصادقة حتى يكون المثل الصادق والقدوة الأمينة عوناً على الإقناع والاطمئنان والوضوح.
- الممارسة الأولى التي تحمل المشاركة وتقديم يد العون لتقدم هذه الممارسة نفسها صورة عملية من الشرح والوضوح ولتيسير الممارسة والتجربة.
- الممارسة المنفردة تحت المراقبة والإشراف والدعاية والتوجيه مع ملاحظة الأخطاء وخاصة الأخطاء الشائعة ودراستها وتقويمها ومعالجتها مع ملاحظة أن لا نتخذ هذه الأخطاء بالتشهير بأصحابها.
- الممارسة الإيمائية المنطلقة عن نية صادقة وعلم وخبرة تحت مراقبة وإشراف ورعاية وتوجيه.
- فهم الواقع والاستفادة من الوسائل والأساليب المتاحة لتنمية التدريب للدعاة.
- توفير المرونة في تطبيق قواعد التدريب حتى يستوعب قدرات الدعاة ومواهبهم ومستوياتهم المتفاوتة.
- أن يمثل الإشراف والمراقبة والدعاية والتوجيه نظاماً إدارياً ومنهجاً علمياً حتى

لا يصبح التدريب عملاً متفاوتاً تضيع آثاره وفوائده.

- تقويم العمل تقويماً دورياً ومستمراً فإن ذلك أساس منهج البناء ونهج الإعداد والتدريب [1].

ومن عوامل نجاح التدريب وتقويمه :

- تكليف المتدربين وتعويدهم على البحث الهادف مثل جهود العلماء في التحقيق والتخريج والتوثيق للحديث النبوي في العصر الحديث.
- وأثر التقنيات الحديثة في خدمة السنة.
- وإعلام المحدثين في العصر الحديث وأثرهم في خدمة السنة.
- الغربيون وموقفهم من السنة - شبهات المستشرقين وغيرهم حول القرآن والرد عليها.

* * * * *

(١) انظر: نهج الدعاة وخطة التربية والبناء؛ د. عدنان علي رضا، ص ١٢٢، ١٢٣.

(ج) بحوث الدراسات العليا بالجامعات
(ماجستير ودكتوراه)

فالبحث العلمي هو الذي تتوافر فيه روح الوصول للحقيقة بحيث يكون كل طرف في موقف الحياد بين القضية المطروحة، ولا شك أن إعداد الداعي لأبحاث الدراسات العليا في شكل أطروحة درب من دروب التنمية الثقافية والمهنية للدعاة.

أ) بحث لنيل درجة التخصص (الماجستير) :

يكشف عن أفكار الطالب ومواهبه ومدى صلاحيته للتحضير لدرجة العالمية (الدكتوراه).

والأصل في هذا البحث أن يضيف جديداً للعلم ويخدم البشرية، أو يكون تحقيقاً لمخطوطة بحيث تحقيقها يضيف هاماً وجديداً للعلم، إلى جانب إعطاء الطالب فرصة للدخول في الأبحاث العميقة تحت الإشراف المباشر لأحد الأساتذة المتخصصين.

ب) بحث لنيل درجة العالمية (الدكتوراه) :

ويمكن أن يكون هذا البحث موضوعا يضيف جديداً للعلم ويخدم البشرية أو تحقيقاً لمخطوطة لم تحقق بعد، إلا أن هذا البحث يعتمد على مصادر ومراجع أكثر وأكبر والدراسة فيه أعمق وأغزر وأوسع وأشمل ومستوعبة للموضوع من جميع جوانبه، بحيث يشهد هذا البحث على أن صاحبه أصبح ذات قدم راسخة في هذا العلم واسع الاطلاع فيه، وأنه قد نمت عنده ملكة البحث وأصبح يستطيع إجراء البحوث وحده مستقلاً دون إشراف [1].

وفي ذلك يقول حسن محمد عازل [2] : " ويعتقد كثير من الباحثين أن اتساع الموضوع يفيده من حيث الحصول على المادة العلمية وغيرها مما يتصل به، وهذا اعتقاد غير صحيح لأن الغرض من البحث ليس مجرد جمع المادة وعرضها، وإنما البحث عن حقيقة غائبة والكشف عنها ولا يتأتى ذلك إلا بالتعمق في الموضوع والإحاطة به من جميع جوانبه ومعرفة دقائقه واتساع الموضوع يتنافى مع هذا، ويحول الباحث إلى مجرد جماع لآراء

(١) محاضرات في قاعة البحث؛ د. أحمد مختار محمود، ص ١٤ - ١٦.
(٢) في البحث الأدبي؛ ص ١٦، ١٧.

غيره وتخفي شخصيته.

والحقيقة أنه كلما كان الموضوع ضيقاً كلما كانت فرصته الباحث في ثبر أغواره أكبر واكتشاف خفاياه أمكن ونتائجه أصدق وأنفع ".

ومن النماذج والأمثلة لبحوث الدراسات العليا التي أثرت المكتبة الإسلامية والعربية وتعد من المراجع والمصادر الهامة للدعاة :

بحوث الدكتوراه :

- السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي للدكتور مصطفى السباعي التي حصل بها على درجة الدكتوراه من جامعة الأزهر.
- أحكام الذميين والمستأمنين في دار الإسلام للدكتور عبد الكريم زيدان التي حصل بها على درجة الدكتوراه من جامعة القاهرة.
- آثار الحرب في الفقه الإسلامي؛ دراسة مقارنة للدكتور وهبة الزحلي التي حصل بها على درجة الدكتوراه من جامعة القاهرة.
- بنو إسرائيل في القرآن الكريم للدكتور محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر التي حصل بها على درجة الدكتوراه من جامعة القاهرة.

ومن بحوث الماجستير :

- قواعد الحرب في الشريعة الإسلامية للشيخ عواض بن حمدان والتي حصل بها على درجة الماجستير من الجامعات السعودية.
- أحكام الأسرى في الفقه الإسلامي والقانون الوضعي للشيخ علي أحمد جواد والتي بها على درجة الماجستير حصل عليها من جامعة دمشق.
- أوليات الفاروق عمر للدكتور غالب القرشي التي حصب بها على درجة الماجستير من المعهد العالي للقضاء بالرياض.

ومن الكتب المهمة التي يهم الداعية الإطلاع عليها في ذلك :

- كتاب نحو منهج بحوث الإسلامي للدكتور علي عبد الواحد.

* * * * *

(د) التنمية الثقافية الذاتية

صدق من قال " أن الجامعة تعطيك مفتاح العلم.. أما العلم نفسه فلن تبلغ فيه مبلغاً إلا بالاطلاع الذاتي".

وهناك مثل إنجليزي بمعنى " من يمر عليه ثلاثة أيام دون أن يقرأ ويضيف جديداً فكرياً إلى معارفه فلابد أن يقول كلمات فارغة وتافهة ".

ومن هنا تأتي التنمية الثقافية [1] وهي مفهوم يتسع لكل مناشط الحياة الإنسانية ومختلف مناحي الجهد البشري، وهي معادل موضوعي لتنمية المجتمع ثقافياً عن طريق الدعاة سواء منهم من كان يعمل تحت المظلة الرئيسية للدولة ومن كان عمله تطوعياً محتسباً لتكون الثقافة عنصراً فاعلاً في تطوير آليات النمو ولتدعيم المجهودات التي تسخر للنهوض بمستويات الحياة ولترقية الإنسان والرفع من قدراته ولتحسين أوضاعه في المجتمع.

ومن القواعد الرئيسية في التنمية الثقافية الأخذ بمناهج العلم في التفكير والتخطيط والأداء، والتنمية الثقافية من المنظور الإسلامي تفرض علينا فيما تفرضه تحديد منابع الثقافة الإسلامية. وإن الثقافة الإسلامية الصحيحة ترتكزان على قدمين راسختين هما : القرآن والسنة النبوية الشريفة. وهذان البحران هما الخضم الزاخر التي تنبثق عنه كل المنابع التي تعد الثقافة الإسلامية بالقوة والحيوية والقدرة الدائمة على الإشعاع المستمر.

كما تشمل منابع التنمية الثقافية الإسلامية فيما تشمل مجموع التراث الحي الذي خلفه سلف الأمة الإسلامية لخلفها، وهو التراث الزاخر الذي لا ينضب للحضارة الإسلامية في مظاهرها المتعددة. والتنمية الثقافية أيضاً تتطلب منا القيام بعملية دقيقة لضبط المصطلحات وتقصيرها ولتجلية المفاهيم وتأصيلها

(١) انظر: مجلة منار الإسلام الإماراتية العدد ٣٨٣، ص ٨٦ - ٨٩.

حتى لا تتداخل المعاني ولئلا يقع الخلط في الدلالات. ومنطلقنا في ذلك حقيقة أن السمة الإنسانية هي السمة البارزة في ثقافتنا الإسلامية، وهي السمة التي جعلتها ثقافة مؤمنة إنسانية هادفة بناءة تستجيب إلى حاجات الإنسانية البدنية والروحية وتلبي طموحاته وتنسجم مع فطرته وتقوي في النفس البشرية حوافز الأمل والثقة والرجاء ونوازع الحق والخير والجمال والمدخل الوحيد لتلك التنمية هو ضرورة الاطلاع الذاتي.. وتكوين المكتبات الخاصة والعامة، مما يستدعي ثقافة الداعية المسلم في حدود التحصيل الأكاديمي للعلم، والعلم الشرعي فحسب وهو على أهمته لا يعدو أن يشكل نصف الثقافة اللازمة للمهمة الخطيرة والكبيرة للداعية كما يرى د. عبد الصبور مرزوق[1].

إنما تتجاوزه إلى حفظ القرآن كاملاً ومداومة تلاوته وما أمكن من الحديث النبوي الشريف وإتقان اللغة العربية والإلمام بثقافة العصر والاطلاع على الصحف والمجلات السيارة، ليكون ذلك مكملاً لثقافته الشرعية ومعيناً على استكمال متطلبات القيام بواجب الدعوة إلى الإسلام.

وكما أن التحصيل الشرعي كان بالقراءة والمذاكرة، فإن إتمام دور هذا التحصيل وإكمال دائرته حتى يسرق نوره ويشع على من حوله لن يكون إلا بنشاط واجتهاد ووسائل تشكل القراءة واحدة من أعظم قواعده وأمكن أسسها.. وألا يكون الداعية ران على عقله الصدأ والتجمد الثقافي فلن يملك الداعية أن يكون معالجاً للواقع المريض إلا بمعرفة أمراضه وكشف أسبابها ووصف أدويتها ولن يكون مؤثراً في نفوسهم ولا مغيراً في سلوكهم إلا بالعلم والحكمة والوعي تلك التي تجتمع في إطار ثقافة خاصة لا يكتمل تحصيلها بغير القراءة الواعية المستقلة.

وهذه الثقافة ستكون سلاحه الذي يواجه به جهل الناس بقيم الإسلام

(١) انظر: مجلة منبر الإسلام؛ شعبان ١٤١٧هـ، ص ٨٢ - ٨٥.

وأحكامه وانشغالهم الفرط بشئون دنياهم هم عن أمور دينهم وغفلتهم عن اتخاذ الإسلام أساساً لإصلاح الواقع وبناء المستقبل، حيث تتعاقب فيه المستجدات والمتغيرات وتدور فيه علة الأحداث بسرعة تمهل حملة الدعوة وفرسان التوعية والتذكير، فينعكس ذلك على خطابهم الدعوي قبدا فقيراً معزولاً عن الواقع.

ولذلك فإن على الداعي أن يصحب الكتاب وألا يجفو القراءة وعليه أن يستزيد من العلم، ويزاول الاطلاع على المصادر الثقافية سواء من كتب التراث أو المجلات والدوريات التي تعتبر من أهم روافد الواعي بالحاضر ونوافذ الاطلاع على واقع الحياة.. إلى جانب الثقافة العلمية المبسطة التي باتت في أيامنا سهلة قريبة من الجميع.

فأكثر المساجد اليوم فيها مكتبات إسلامية عامة يفخر بها الإسلام توفر قاعدة مرجعية للدعاة (١) لاسيما كتب التفاسير وكتب الحديث الموسوعية إلى جانب كتب السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي والعقيدة والفقه المتعددة.. الخ.

كما ندعو الدعاة إلى أن يكون كل منهم مكتبة خاصة يرجع إليها في منزله، فالقراءة حركة إلى الأمام تنور الذهن وتضيء أجواء النفس وكشف خطاياها.. القراء فتح لمغاليق البصيرة وسبر لأغوار الطريق.. والقراءة قوة للعقل وزاد للروح وإرواء للقلب، بل هي عبادة لله تعالى.

والقراءة هي استزادة من بحر العلم: ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ [طه: ١١٤]، والقراءة تصفية لعدسة التأمل: ﴿ يَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ [آل عمران: ١٩١]، وتجلية لعين الكشف: ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا ﴾ [العنكبوت: ٢٠]، وتقوية لملكة الاستنباط وتوسيع لدائرة الرؤية وتنمية ملكات التصوير والتحليل والمقارنة: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ [الرعد: ١١].

---

(١) انظر: المكتبات في الإسلام؛ محمد ماهر حماده، ص ٥، ٨٢.

وقد استفاد علماؤنا من مكتبات المساجد، فلنقتدي بهم مثل ياقوت الحموي وابن القوطي وابن خلكان[1] وابن أبي صبيعة وابن خلدون وغيرهم.

بل إن وقف الكتب عند المسلمين كان العامل الأساسي في توفير المعرفة لطلاب العلم، وأن هذا النمط من الوقف أسهم في انتشار المكتبات بأنواعها المختلفة في التاريخ الإسلامي[2] في المساجد والجوامع.

وفي ختام هذا الموضوع : على الداعية الإسلامي أن يقرأ ويدرس ليحارب علمهم الغير إسلامي بأسلحة العلم، **فيحارب العلم بالعلم ويفل الحديد بالحديد.**

* * * * *

(١) نفس المرجع؛ ص ١٩٠.

(٢) انظر: الوقف وبينية المكتبة العربية؛ د. يحيى ساعاتي، ص ٢٤.